تاجر البندقية

وليم شكسبير

ترجمة: دكتور مختار الوكيل

تقديم: دكتور نايف خراما

الطبعة الثانية عشرة

دار المعارف

obeikandl.com

obeikandl.com

الناشر دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

مقدمة

بقلم الدكتور نايف خرما

على الرغم من أن مسرحيات شكسبير تتحلَّى بمقوِّمات وميزات جعلتها من الأدب العالمى الخالد مدَى الدهر، فإن دارس أى من تلك المسرحيات لا بدَّ له من أن يلَّم بأمورٍ كثيرة تتعلق بالكاتب وعصره وبالخلفية التاريخية والحضارية لذلك العصر، وبالمسرح وشكله وإمكانياته، وبغير ذلك مما هو ضرورى للتعريف بمسرحيات كتبت قبل ما يقرب من أربعة قرون، وللتيسير على القارئ أو المشاهد فى استيعاب بعض ما يرد فى النص من إشارات وحركات وأمور فنية أخرى، تبدو غريبة بعض الغرابة على من يتصور أن المسرح كان دائمًا كما هو عليه الآن، وبذا يستطيع القارئ أو المشاهد أن ينقل نفسه عبر الزمن إلى ذلك العصر الذى كتبت ومثلت فيه تلك المسرحيات فيستمتع بها استمتاعًا أكبر.

ولا يسعنى فى هذه المقدمة إلا أن أتناول أهم تلك الأمور فأعالجها تحت الموضوعات التالية:

١- الخلفية التاريخية والاجتماعية لمسرحيات شكسبير.

٢ – حياة الشاعر.

٣ – تراثه الأدبى.

٤ – الفِرَق المسرحية فى عصره.

٥ – المسرح الإليزابيثى.

٦ – قصة "تاجر البندقية" ومصادرها.

٧- شخصيات المسرحية.

١ – الخلفية التاريخية والاجتماعية لمسرحيات شكسبير

لقد قال بن جونسون أحد الشعراء وكتاب المسرحية الشهيرين فى أيام شكسبير إن شكسبير "لم يكن لزمن بعينه ولكنه كان لجميع الأزمان" وعلى الرغم من صدق هذا القول، وعلى الرغم من أن الإشارات فى مسرحيات شكسبير إلى أحداث زمانه قليلة – فى حين هى كثيرة جدًا فى مسرحيات وكتابات معاصريه من صغار الشعراء والكتاب – فإن الخلفية الحضارية لمسرحيات شكسبير كلها – تقريبًا – ليست إنجليزية فحسب، بل هى صورة للحياة والأحداث التى كان هو ومعاصروه يعيشونها، فالمروج والأشجار والأزهار والملابس والريف وسكانه وحيواناته،

obeikandl.com

وعقلية الناس وطريقة تفكيرهم والأساطير التى كانوا يتناقلونها والألقاب الرسمية إلخ.. كلها إنجليزية حتى إن كانت أحداث المسرحية تقع فى إيطاليا أو اليونان أو أى بلد أجنبى آخر، ومن هنا تبرز أهمية إلقاء بعض الضوء على تلك الخلفية.

ليس من السهل على الرجل المعاصر أن يتصور عالمًا لا تنتقل فيه الأخبار والآراء عن طريق الإذاعة أو التلفاز، أو – على الأقل – عن طريق الصحف والمجلات. ولكن هذا الحال هو الذى كان سائدًا عصر شكسبير وقد جعل هذا الوضع الناس يرتادون الأماكن العامة أكثر بمراحل مما يفعلون حاليًا، وكانت الأخبار والإشاعات والآراء تنتقل عن طريق الفم، وكثيرًا ما كانت بعض الإشاعات تسبب نشر الذعر حتى فى الأوساط الحاكمة إلى أن يتأكد كذب الإشاعة أو صحتها، وكثيرًا ما تستعمل هذه الظاهرة فى روايات شكسبير.

أما حرية القول وبخاصة فيما يتعلق ببحث أمور الدولة، فلم تكن متوافرة، بل كثيرًا ما كان نقد الحكومة (التى كانت ممثلة فى الملكة بشكل رئيسى) يعتبر قدحًا، ويصل أحيانًا إلى اعتباره خيانةً عظمى، وهذه الحرية لم يكن مسموحًا بها حتى فى المجلس الوطنى (أو البرلمان) الذى لم يكن يتمتع بشيء من الصلاحيات التى تتمتع بها المجالس الوطنية الحالية.

ولقد ظهر فى هذا العصر الذى يُسمى العصر الإليزابيثى [1] من الأدباء المرموقين عددٌ كبير جدًا، وكان الأدب على أنواعه مزدهرًا مع ازدهار الاقتصاد البريطانى، ونمو القوة البحرية، وبدء الانفتاح على العالم الخارجى وبخاصة بعد كشف أمريكا عام ١٤٩٢ والقيام بالرحلات البحرية المعروفة بقصد الاستكشاف والاستعمار.

ولكن المسرح كان يحتل مركزًا غريبًا فى حياة سكان لندن فى ذلك العصر فلم يكن رجال الأعمال المحترمون ينظرون إليه نظرة الإعجاب وتقدير لأن موضوعات بعض المسرحيات لم تكن أخلاقية، كما أن العمال كانوا يضيعون فيه بعض أوقات عملهم، ولكنه كان مكانا يرتاده عامة الناس بالإضافة إلى بعض الشباب من الأغنياء والنبلاء مع حاشيتهم، وبالإضافة إلى هذا كان من الممكن التعليق على بعض أوضاع البلد ونقدها على خشبة المسرح وفى وقت لم تكن فيه حرية التعبير متوافرة فى الخارج وكثيرًا ما كان التاريخ السابق، الأجنبى والإنجليزى، يستعمل كوسيلة لنقد العهد الحاضر بإبراز بعض المظاهر المشتركة بين عصر سابق والعصر الحاضر

---

(١) نسبة إلى الملكة إليزابيث الأولى التى حكمت إنجلترا من عام ١٥٣٣ إلى عام ١٦٠٣

[٢] ولذلك كثيرًا ما كانت الأوامر الحكومية تصدر أحيانًا بإقفال هذه المسرح أو ذاك لسبب أو لآخر من الأسباب المذكورة سابقًا، كما كان الممثلون يلاحقون قضائيًا فى أحيان أخرى.

لقد كانت الخلفية التاريخية لمعظم الإنتاج الأدبى فى العصر الإليزابيثى عبارة عن حرب متواصلة معظمها كان ضد إسبانيا سواء فى بلادها نفسها أو فى البلاد المنخفضة [٣] أو صراعًا على المستعمرات الإسبانية فى أمريكا الجنوبية والشمالية وقد كان أهم حدث فى ذلك الصراع الحملة البحرية الإسبانية على إنجلترا صيف عام ١٥٨٨ [٤] التى انتهت بانهزام إسبانيا وتدمير أسطولها الضخم، كما كانت أهم أحداث الصراع على الأمريكتين رحلة هوكنز (Hawkins) ودريك (drake) إلى أمريكا الجنوبية عام ١٥٩٥ وهى الرحلة التى لم يعد أى منهما منها.

كما كان هناك قتال بين إنجلترا وأيرلندا منذ عام ١٥٩٨ بقصد إخضاع أخراهما للعرش البريطاني، وامتد عدة سنوات وهو القتال الذى لا تزال بريطانيا تعانى من ذيوله حتى عصرنا الحاضر.

وقد كان من أهم نتائج تلك الحروب بروز الشعور بالوطنية الجامحة لدى الشعب الإنجليزي، وقد انعكس هذا على المسرح؛ فظهرت المسرحيات التاريخية الكثيرة فى ذلك العصر، كما أن معظم الناس كانت لهم صلة بالحرب، إما عن طريق الاشتراك الفعلى فى الخدمة العسكرية، وإما عن طريق سماع أخبارها، وقد أسهم كثير من الأدباء فى تلك الحروب إسهامًا فعليًا، وانعكس ذلك أيضًا فى المسرحيات والكتابات الأدبية الأخرى التى ظهرت فى ذلك العصر.

وقد نتج عن الحروب الطويلة الباهظة النفقات كثير من القلق والاضطراب الاجتماعي، وبما أن الأحزاب السياسية بالمعنى المفهوم اليوم لم تكن معروفة فى ذلك الوقت فقد اتخذ الاضطراب شكلاً دينيًا وقد كانت هناك ثلاث فئات أو طوائف دينية رئيسية، وهى الكاثوليكية، والإنجليكانية (التى ترأسها الملكة) وطائفة البيورتان المتزمتين.

وقد كان لرجال الدين – برتبهم المختلفة – وظائف هامة فى الدولة مما جعل لهم نفوذًا عظيمًا ولما كانت الكنيسة الإنجليكانية هى التى تمخضت عن حركة الإصلاح الدينى فى إنجلترا أيام الملك هنرى الثامن، وانفصال إنجلترا عن الباب فى روما، فقد أصبحت فى ذلك العصر

---

(٢) انظر تراث شكسبير الأدبى فى هذه المقدمة.

(٣) هولندا وبلجيكا اليوم.

(٤) الأرمادا.

obeikandl.com

مقترنة بالقومية المحلية، وأصبحت معارضتها أو الثورة ضدها تعتبر أكثر من خيانة عظمى، لأنها تمثل ثورة على الله، وكانت الكنيسة الكاثوليكية، وكذلك أتباعها فى إنجلترا، تعتبر مصدر الخطر الأعظم على الدولة، وقد زاد ذلك الأمر شدة أن أسبانيا العدو اللدود – فى ذلك الوقت – كانت كاثوليكية المذهب. وهكذا نرى أن عقيدة الفرد فى ذلك العصر لم تكن مسألة شخصية، ولكنها كانت تتأثر بالانتماءات الأسرية والعاطفية، كما كانت تؤثر على حياة الإنسان الخاصة وراحته، وربما أودت بحياته فى بعض الأحيان.

أما المشكلة الأخرى التى كانت سببًا للقلق العميق، فقد كانت مسألة وراثة العرش؛ لأن الملكة لم تتزوج بل أعلنت على الملأ أنها لن تفعل ذلك، وبذا لن تلد خليفة للعرش. وقد كان الكاثوليك فى بريطانيا يؤيدون مطالبة مارى ملكة أسكتلندا بعرش إنجلترا، ولكن بعد إعدامها عام ١٥٨٧ وعدم وجود خليفة واضح للعرش، كان يبدو أنه لا بد من نشوب حرب أهلية، إلا أن الملكة حظرت على البرلمان والناس إجمالا بحث هذه القضية، ولكنها لم تستطع أن تحظر عليهم الشعور بالكآبة التى يبدو أنها سيطرت على الشعب عدة سنوات، فقد ظهرت آثارها فى أعمال أدبية كثيرة مثل مسرحية هملت لشكسبير، كما ظهرت موضوعات الملكية والولاء للعرش وأمثالها فى كثير من مسرحياته الأخرى.

ولكن ما إن اعتلى جيمس الأول العرش عام ١٦٠٣ (وكان صديقًا شخصيًا للبابا ولملك إسبانيا) حتى توقفت الحروب فجأة، وساد الهدوء والطمأنينة أفكار الناس، وقد كتب شكسبير خلال العهد الجديد عددًا قليلاً من المسرحيات فيها بعض الإشارات الواضحة للعهد الجديد كما يظهر ذلك فى مكبث والملك لير والليلة الثانية عشرة.

عندما يمر تعبير "البلاط الملكى" فى مسرحيات شكسبير، فإن ذلك يعنى قصر الملك وجميع حاشيتها، كما يعنى أيضًا مركز الحكم، وأول ما يلفت انتباهنا أن الوصول إلى الملكة فى عصر إليزابيث كان أمرًا عسير جدًا، إلا لأولئك الذين كانوا يقومون على خدمتهم الشخصية، أما المرافقون للملكة فقد كانوا – بشكل رئيسى – أعضاء مجلسها الخاص.

وهذه الصورة غير واضحة وضوحًا تامًا فى مسرحيات شكسبير؛ فإذا وجدنا فرقًا ظاهرًا بين الطريقة التى يبرز فيها شكسبير الحياة والتقاليد فى البلاط الملكي، وبين ما نعرفه من الوثائق المختلفة، فإن ذلك مرده إلى أن الشاعر لم يكن يتقيد بتفصيلات الوضع الحقيقى، بل كان همه الأول الحبكة والتأثير المسرحيين، وهذا ينطبق أيضًا على حياة طبقة من النبلاء فى ذلك العصر تلك الطبقة التى كان تركيبها مشابهًا بشكل رئيسى للوضع فى البلاط الملكي، وعلى الرغم من عدم تقُّيد المؤلف بتفصيلات الحياة فى البلاط أو عند النبلاء، فإن نستطيع أن نعتبر أن الصورة التى يرسمها لتلك الحياة، حتى فى البلاد الأجنبية، تشابه إلى حد كبير الصورة

الإنجليزية فى عصره ليس من حيث الشكل العام فحسب بل من حيث طريقة التخاطب والتصرف أيضًا (لاحظ مثلاً فى مسرحية تاجر البندقية شخصية باسانيو وكيف تتضح معالمها فى السلم الطبقى فى الفصل الرابع، فى حين يبدو فى الفصل الأول وكأنه نِدٌّ لجراتيانو ورفاقه) وكذلك فى الإشارات إلى الملابس وتوابعها والأثاث والمأكل والمشرب، حتى فى اختيار الأسماء؛ فبينما تكون أسماء الشخصيات الرئيسية إيطالية أو يونانية أو مصرية إلخ نجد أن أسماء بعض الخدم والطبقات الدنيا تبدو إنجليزية بيئية فى كثير من الأحيان. إن إعطاء وصفٍ مفصَّل للتركيب السياسى الاجتماعى فى عصر إليزابيث أمرٌ متعذَّر فى هذه المقدمة القصيرة وبخاصة ما يتصل منه بحياة عامة الشعب، إلا أن من الممكن رسم بعض الخطوط العريضة بإيجاز شديد.

فمن الأمور التى تسترعى النظر مثلاً التناقض الكبير بين أوضاع الناس المختلفين الذين كانوا يؤمون المسرح فى أيام شكسبير لقد كانت الحياة ملأى بالتناقض تجمع بين روح المرح من جهة والقسوة البالغة من جهة أخرى، وهى حياة مرفهة بالنسبة للأغنياء، ولكنها سيئة جدًا بالمقاييس الحاضرة بالنسبة للفقراء، فقد كان هنالك الفقراء المعدمون الذين لا يجدون ما يسترون به عوراتهم، فى حين كان الأغنياء يرفلون فى أفخر الملابس. وبينما نجد عند عامة الشعب فى ذلك العصر كراهية للأجانب بسبب الحروب التى كانت تتهدد البلاد باستمرار برغم قوة الدولة الهائلة نجد أيضًا أن روح المغامرة كانت قوية جدًا، بحيث دفعت الكثيرين إلى القيام بالحملات البحرية البعيدة المدى لاكتشاف بلاد جديدة.

ومن الظواهر التى يمكن أن يلاحظها الدارس عن ذلك العصر التفاف الشعب الشديد حول الملكة، وبما أنها أصبحت الرئيسة العليا للكنيسة بدلاً من البابا بعد حركة الإصلاح الدينى والانفصال عن روما، فقد سبب هذا عند الناس كراهية للكاثوليك الذين يعتبرون أعداء للأمة، كما ذكرنا سابقًا.

أما الملكة نفسها فقد كانت ملكة عظيمة حكمت بلادها بحزم وذكاء عظيمين، وكانت مهتمة اهتمامًا حقيقيًا بالمصلحة العامة، أو على حد قولها: كانت "متزوجة من إنجلترا" فقد كانت تساعد الفقراء بشتى الطرق، ومنها إيجاد سبل العمل لهم، وكانت تحيط نفسها بمجموعة من الأتباع الشباب الأذكياء، وتضمن إخلاصهم لها بطريقة أو بأخرى، ومع ازدياد ازدهار البلاد ارتفع مستوى المعيشة، فتحسنت الأحوال السكنية وأنواع الأثاث والأدوات المنزلية والملابس وما إليها، كما زاد الإقبال على العلم بين عامة الشعب.

ووجدت طبقة مرفهة لديها من الوقت والمال ما يساعدها على رعاية الفنون بأشكالها المختلفة، وكان المسرح من أهم تلك الأشكال التى كان يقبل عليها الجميع تقريبًا مما أخذ بيده وساعده على التقدم والازدهار.

ولا بد هنا من الإشارة بسرعة إلى العلاقة بين مسرحيات شكسبير والحياة الاجتماعية فى أيامه، فنورد نقطتين اثنتين:

أولاً: إن حياة عامة الشعب كانت تشبه – مع بعض الفروق المذكورة آنفًا – حياة أمثالهم فى العصر الحاضر، وبرغم أن شكسبير لم يتعمد أن يصف حياتهم الاجتماعية فى مسرحياته، فإننا يمكن أن نأخذ صورة واضحة عن الواقع الاجتماعى من خلال كلام الشخصيات العادية وطريقة سلوكها فى مسرحياته.

ثانيًا: إن شكسبير لم يكن يهتم اهتمامًا حقيقيًا بالأحداث التى تقع فى عصره، كما أنه لم يكن يتعمد أن يصف تفصيلات الحياة التى كان يحياها الناس آنذاك، بل كان – ربما يغير شعور وربما بالضرورة – يستعملها كخلفية اجتماعية لمسرحياته، بحيث تبدو أحداث تلك المسرحيات واقعية للنظارة وتساعد على بث الحياة فى الأشخاص والحبكة المسرحية، فى حين يحلق الكاتب بعد ذلك فى آفاق إنسانية، أوسع بمراحل من المحيط الذى يعيش فيه، ولو تقيد شكسبير كما تقيد عشرات غيره من كتاب عصره بالأحداث والحياة الاجتماعية السائدة فى عصره لكتب عليه، كما كتب عليهم، أن يبقى كاتبًا شاعرًا مغمورًا لا يقرؤه أو يستمع إليه إلا لباحث أو طالب العلم.

٢ – حياة شكسبير

لا يعرف عن حياة شكسبير إلا القليل، سنكتفى بذكر ما هو موثوق ومؤكد إلى حد ما.

كان والد شكسبير فى بداية حياته رجل أعمال ناجحًا، ويبدو أنه كان عضوًا بارزًا فى مجتمعه الصغير فى بلدة سترانفورد، وعضوًا فى مجلسها البلدى، كما أن زواجه من امرأة غنية أضاف إلى ثروته بعض الأطيان، وقد ولد ابنهما الثالث شكسبير فى هذه البلدة نفسها (سترانفورد على نهر آفون) فى شهر أبريل من عام ١٥٦٤ وكان والده فى بحبوبه من العيش إلا أن الأمور لم تستمر على تلك الحال، فلم تمض بضع سنوات حتى حاقت بالوالد ضائقة مالية اضطرته إلى الاستدانة وإلى رهن بيت زوجته كذلك، كما أنه أمسى يفقد الاهتمام بالشؤون العامة بالبلدة. وقد تعلم شكسبير وإخوته الأربعة فى مدرسة البلدة حيث كان الطلاب يدرسون أسس اللغة اللاتينية وقواعد اللغة الإنجليزية وآدابها ويبدو أن وليم استطاع فيما بعد أن يكتسب بعض المعرفة باللغتين الفرنسية والإيطالية، كما تدل على ذلك بعض مسرحياته، ولم يطل به المقام فى المدرسة

فقد اضطر بداعى الحاجة إلى تركها وهو فى الثالثة عشرة من عمره، وذلك ليقوم بمساعدة والده على كسب قوت الأسرة.

ولم تمض بضع سنوات حتى تزوج وليم وهو فى الثامنة عشرة من امرأة تكبره بثمانى سنوات ورزق منها بثلاثة أطفال، بنتين وصبيًا واحدًا، ولا يبدو أن حياتهما الزوجية كانت سعيدة برغم أن الإشارات التاريخية إليها قليلة جدًا فلم يمنع الزواج وليم شكسبير من مصاحبة بعض رفاق السوء الذين لم يقتنعوا بممارسة الرياضيات المعروفة آنذاك بل كانوا يقومون بالسطو على بعض المزارع الخاصة التى كان يمتلكها عليه القوم وسرقة الغزلان أو الأرانب منها، وقد كان عقاب هذه الجريمة فى ذلك الوقت يصل إلى السجن مدة ثلاثة أشهر، وقد زاد الأمر سوءا بالنسبة لوليم شكسبير أنه نظم قصيده يهجو فيها أحد أعيان البلدة من ذوى المزارع هذه فنقم عليه واضطهده واضطره فى النهاية إلى هجر البلدة كلها والسعى وراء الرزق فى مدينة كبيرة مثل لندن وكان ذلك عام ١٥٨٥.

لا نعرف عن حياة شكسبير فى لندن ما بين عامى ١٥٨٥، ١٥٩٢ إلا النزر اليسير وقد تضاربت الأقوال عما كان يفعله لكسب الرزق فى بادئ عهده بالمدينة، فهناك رواية تقول إنه كان يحرس الخيول التى كان يتركها رواد المسرح من الموسرين فى الخارج ويعتنى بها فى أثناء مشاهدتهم المسرحية، ورواية ثانية تدعى أنه كان خادمًا داخل المسرح، وثالثة أنه كان مساعدًا للملقن، ولكن يبدو أنه سرعان ما اتجه إلى العمل المسرحى حيث بدأ نجمه يبزغ تدريجيًا، ويقال إنه بدأ عمله كمؤلف مسرحى يقوم بمراجعة أو إعادة كتابة بعض المسرحيات التى كانت الفرقة تكلفه بها والتى كان لها الحق بمراجعتها بعد شرائها من أصحابها، ولكن هناك إشارة واضحة من أحد المعاصرين تبين أن شكسبير كان قد أصبح ممثلاً ومؤلفًا مسرحيًا معروفًا عام ١٥٩٢.

وعلى الرغم من أن شكسبير لم ينل فى عصره تلك الشهرة التى نالها من بعد، فإن بعض النبلاء الإنجليز، مثل ساوثمتون احتضنه وساعده، كما أن الملكة إليزابيث أظهرت بعض العطف عليه فى وقت مبكر من عمله. ولكن ما إن اعتلى جيمس الأول العرش فى عام ١٦٠٣ حتى دعاه ليمثل فى القصر الملكى أمام الملك وحاشيته.

لقد كان شكسبير رجلاً عمليًا، وكان يهدف من عمله فى لندن إلى أن يحصل على المال الكافى لكى يعيد إلى أسرته مجدها السابق، ولذلك عاد فى أواسط حياته إلى بلدته سترانفورد حيث ثبت أقدامه وجعل من البلدة مركزًا له يزورها من حين إلى آخر، إلا أنه كان يمضى معظم وقته فى لندن.

obeikandl.com

ففى عام ١٥٩٧ ابتاع أكبر منزل فى البلدة مع مستودعين للمحصولات وحديقتين كبيرتين، وقد كلفه ذلك مبلغًا كبيرًا من المال، إلا أنه أعاد له سمعته وأهميته بين مواطنيه، وقد تمكن من ذلك لأنه كان فى ذلك الوقت يكسب الكثير من عمله ككاتب مسرحى وكممثل، كما أنه كان يحصل على جزء من أرباح مسرح الكرة الأرضية the globe عند إنشائه فى عام ١٥٩٩ واستمرت إيراداته فى الارتفاع حتى أصبح من كبار الملاك فى بلدته.

لقد أنتج شكسبير فى الفترة الأخيرة من حياته العملية أفضل مسرحياته مثل الليلة الثانية عشرة، وكما تهواه ويوليوس قيصر وهملت، وعطيل ومكبث والملك لير التى مثلت فى البلاط الملكى عام ١٦٠٦ ويبدو أن عام ١٦١١ كان نهاية نشاطه المسرحي، فقد بدأ يمضى معظم وقته فى ستراتفورد، وبدأت صحته تتدهور حتى وافته المنية فى عام ١٦١٦ عن اثنين وخمسين عامًا ودفن فى مسقط رأسه.

٣ – تراث شكسبير الأدبى

لقد ترك لنا شكسبير ثروة ضخمة من التراث الأدبى تتكون من:

١– مائة وأربع وخمسين مقطوعة شعرية من النوع المسمى بالإنجليزية sonnet وخمس قصائد طويلة.

٢ – سبع وثلاثين مسرحية شعرية وإن تخلل بعضها شىء من النثر وكلها تعتمد وزنًا شعريا واحدًا دون قافية عدا بعض الأغانى والأناشيد المقفاة والتى تضطر إليها قصة المسرحية.

أما المسرحيات وهى أهم جزء من ذلك التراث فيمكن تقسيمها إلى أنواع ثلاثة:

النوع الأول وهو: المسرحيات الهزلية (comedies) وهذه كثيرة العدد منها: ملهاة الأخطاء، وحلم ليلة من ليالى منتصف الصيف، وكما تهواه، والليلة الثانية عشرة، والعاصفة.

والنوع الثانى هو: المسرحيات التاريخية (histories) مثل الملك هنرى الرابع (وهى جزءان) والملك هنرى الخامس، والملك هنرى السادس (وهى ثلاثة أجزاء) والملك رتشارد الثاني، والملك رتشارد الثالث، والملك جون)

أما النوع الثالث فهو: المسرحيات المأسوية (tragedies) وهى أعظم مسرحياته، وقد كتبها كلها فى أوج مجده وقبل أن يعتزل المسرح، وأهمها يوليوس قيصر، وهملت وعطيل ومكبث والملك لير وأنتونى وكليوباترا وكوريولانس التى كتبها عام ١٦٠٩.

أما تاجر البندقية فإنها تحتل مكانًا وسطًا يفصل بين المسرحيات الهزلية المبكرة، وتلك المجموعة من المسرحيات الهزلية الرائعة التى تجتمع حوالى عام ١٦٠٠ كمسرحيات: "الليلة

الثانية عشرة" و"كما تهواه" ولذلك نلاحظ فيها بعض عيوب العمل المبكر غير الناجح كاستعمال القافية فى كثير من الأحيان، وكنوعية الشعر الذى يمكن أن يدعى نظمًا لأنه لم يتضمن العناصر التى تكون الشعر العظيم، وكالإشارات المتعددة إلى الآداب الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) كما نلحظ فى هذه المسرحية شيئًا من مميزات العمل الجيد الظاهر فى المسرحيات المتأخرة، كالاهتمام الكبير بتطوير شخصيات القصة وتنويعها وتعميقها وإبراز جمالها وشخصياتها شايلوك وبورشيا مثالان رائعان على هذا.

٤ – الفرق المسرحية

تألفت فى لندن عام ١٥٩٤ أول فرقتين مسرحيتين بترخيص حكومى وكانت كل منهما تحتمى بأحد النبلاء من كبار رجال الدولة، وتنتمى إليه ويعتبر أفرادها خدمًا خصوصيين له، يرتدون البزَّات الخاصة التى تحمل شعار ذلك النبيل، وقد كان هذا الترخيص والانتماء أمرًا مهمًا جدًا بالنسبة لكل من الفرقتين، وذلك لحمايتهما من الاضطهاد الذى كانت القوانين تفرضه على الممثلين باعتبارهم على قدم المساواة مع الأشرار والمشردين كما أن ذلك كان يعطى الفرقة مركزًا مميزًا بصفتها منمية إلى الحكومة، أى إلى الأسرة المالكة، إذ إن سلطات مدينة لندن المتزمتة كانت تنظر شزرًا إلى المسرح والممثلين على السواء وكان الترخيص أيضًا يفيد الفرقة فائدة كبيرة عندما كانت تنتقل للعمل فى الأقاليم والأرياف، وذلك لكى تحصل من السلطات المحلية هناك على التسهيلات والمساعدات الضرورية.

أما فى لندن نفسها فكانت الفرق عادة تعرض مسرحياتها فى مسرح عام، كما أنها كانت تقوم أحيانًا خلال العطلات الرسمية بالتمثيل على مسرح البلاط الملكى وكان هذا يفيدها من الناحتين الاجتماعية والمعنوية، وإن لم يكن مريحا من الناحية المادية.

ونحن نعرف أن شكسبير، كان عضوًا فى إحدى الفرقتين الرئيستين منذ عام ١٥٩٤ وكانت لهذه الفرقة بالذات حظوة خاصة عند الملكة إليزابيث فى أثناء حكمها، ثم عند الملك جيمس الأول الذى اعتلى العرش عام ١٦٠٣

٥ – المسرح

ينبغى أن تميز هنا بين نوعين من المسارح:

الأول: يشمل مسرح البلاط الملكى ومسرح الجامعات.

والثاني: المسرح العام الذى يمكن أن يؤمه الناس جميعًا.

وبما أن النوع الثانى هو الذى كان فى ذهن مؤلفى المسرحيات فى العصر الإليزابيثى عندما كانوا يؤلفون للمسرح، فلذلك سنقصر كلامنا عليه؛ ومع علمنا باختلاف كل مسرح عن غيره فى بعض الجزئيات فإن بالإمكان إعطاء صورة عامة عن الصفات المشتركة بينهما جميعًا.

يعتبر هيكل المسرح العام تطورًا طبيعيًا لشكل الخان فى ذلك الوقت، فقد كان المسرح يتألف بشكل رئيسى من ساحة مكشوفة تتوسطها خشبة المسرح الرئيسية، وتحيط بها من جوانبها الأخرى الشرفات التى كان يجلس فيها علية القوم، أما الساحة فقد كان يقف أو يجلس فقيها النظارة من عامة الشعب فى حين كان بعض الشباب يجلسون على مقاعد صغيرة يضعونها على خشبة المسرح نفسها، أو على الحصيرة التى كانت تفرش على الأرض، وكانت الشرفات تمتد فوق خشبة المسرح نفسها، ولكن هذا الجزء كان مخصصًا لاستعمال الممثلين أنفسهم عندما تدعو الحاجة إلى منظر علوى (كالشرفة التى تقف عليها جوليت فى مسرحية روميو وجولييت" أو كأعلى سور من أسوار المدينة، أو كالدور العلوى من أحد البيوت الذى تظهر فيه جيسيكا فى هذه المسرحية لتنادى لورنز الواقف، أسفل المسرح ترمى له ببعض جواهر والدها) وكان الجزء الخلفى من خشبة المسرح الرئيسية يستعمل كجزء منفصل ويغطى بستارة، ويمكن أن يدل على كهف أو مكتب أو غرفة نوم مثلا عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، وكان الممثلون يدخلون ويخرجون من ثلاثة أبواب، جميعها فى الخلف، أحدها خلف الستارة الصغيرة، والآخران على الجانبين الأيمن والأيسر.

ووراء تلك الأبواب فى الطابقين الأول والثانى كانت غرف الممثلين التى يرتدون فيها ملابسهم أو يبدلونها ويعدون أنفسهم للظهور إما على خشبة المسرح الرئيسية، أو على الشرفة العليا، وفيها كانت تحفظ الملابس وقطع الأثاث اللازمة، كما كانت تحفظ فيها نصوص المسرحيات نفسها وقد كانت خشبة المسرح مغطاة بسقيفة من الأعلى تحمى الممثلين من تقلب الجو وترتكز على عمودين يظهران على خشبة المسرح نفسها، كما كانت الشرفات مسقوفة أيضًا، أما الساحة العامة فكانت مفتوحة ومعرضة للمطر وغيره من الظواهر الجوية (انظر الصورة)

أما الستارة الرئيسية التى تسدل فى آخر كل منظر أو فصل فى أيامنا هذه فلم تكن موجودة فى ذلك الوقت، ولذلك كان نقل الأثاث من خشبة المسرح وإليها يتم تحت سمع النظارة وبصرهم وقد كانوا يستعملون بعض قطع الأثاث الضرورية وكذلك بعض الأشياء الأخرى التى تدل على مكان الأحداث كشجرة من الورق المقوى أو الخشب لتدل على غابة على سبيل المثال، أما المناظر الخلفية والتغير الذى يمك أن يجرى عليها فى أيامنا فى المسارح الدائرية الآلية مثلا، وكذلك استعمال الأنوار المختلفة والتلاعب بها كمؤثرات بصرية، فلم يكن شيء منها موجودًا فى

obeikandl.com

ذلك الوقت، وقد كان من الممكن مثلاً أن تستعمل خشبة المسرح الرئيسية لتعبر مرة عن شارع ومرة أخرى عن غابة، ومرة ثالثة عن قاعة العرش، وذلك إما باستعمال بعض الأثاث البسيط، أو غالبًا الإشارة إلى المكان فى سياق المسرحية نفسها أو بوصفه وصفًا تفصيليًا، ولهذا نجد فى المسرحيات كثيرًا من المقطوعات الوصفية التى يلقيها الممثلون أنفسهم لكى يساعدوا المشاهدين على تخيل المنظر، وكلما أحسن المؤلف التعبير بالألفاظ والشعر الجميل عن تلك المناظر غير الموجودة، زاد اجتذاب المشاهدين وفهمهم ما يريد لهم الشاعر أن يفهموه، ونحن نستطيع أن نقدر تأثير ذلك إذا تذكرنا أن المسرحيات كانت دائمًا تمثل فى وضح النهار دون الاستعانة بأى أنوار أو حيل بصرية، ومن الأمثلة على ذلك فى هذه المسرحية ما يقوله لورنزو لجيسكيا فى وصف روعة حدائق بلمونت فى الليل الذى تسطع فيه النجوم، أو عند إشارة بورشيا إلى نور الشمعة المنيرة فى قاعة منزلها البعيد (٥)

(٥) الفصل الخامس المنظر الأول من مسرحية تاجر البندقية.

obeikandl.com

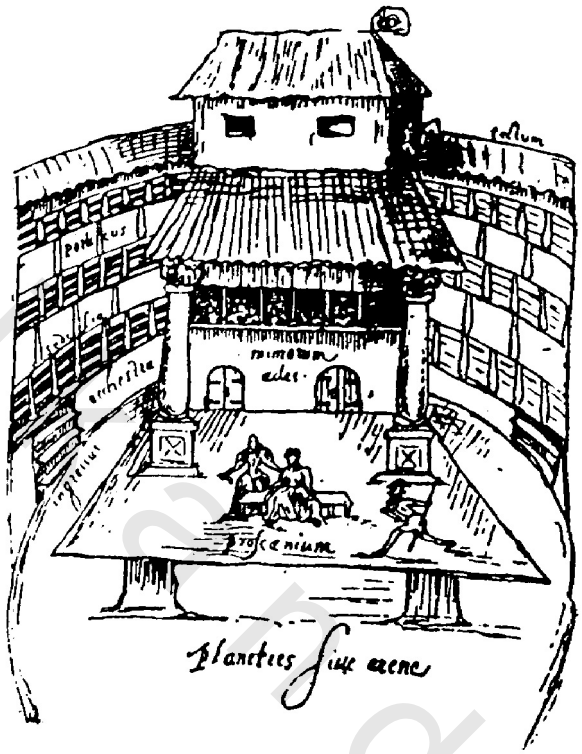
Planctes sive scene

وهكذا نرى أن المسرح فى تلك الأيام كان يختلف اختلافًا بينًا عنه فى عصرنا الحاضر، وكان شكله وإمكانياته تفرض على المؤلف والممثل قيودًا كثيرة، ولكن يبدو أنها كانت تعطيه أيضًا الكثير من حرية الحركة، وبخاصة فيما يتعلق بمكان الأحداث وزمانها، ومن الأمور التى كانت تبدو طبيعة آنذاك بسبب شكل المسرح وقرب النظارة من الخشبة استعمال المناجاة أو حديث النفس، وذلك لشرح بعض جوانب القصة وللاقتصاد فى التعبير أيضًا باستعمالها بديلاً عن أسلوب الحوار الطويل. ومن القيود التى كانت مفروضة على المؤلف أيضًا أن كل ممثل كان عادة يختص بدور معين يتقنه ويظهر به كل مرة، ومع هذا فقد برز بعض الممثلين الذين كان بإمكانهم القيام بأدوار منوعة، أما القيد الآخر فهو عدم ظهور البنات أو السيدات على خشبة المسرح، ولذلك كان يستعاض عنهن بالفتية يرتدون أزياءهن ويقومون بأدوارهن، وقد حاول شكسبير بحنكته المسرحية أن يتغلب على هذه الصعوبة وأن يستغلها لمصلحته فى كثير من الأحيان وذلك بطريقتين:

أولاهما: أنه كان كثيرًا ما يجعل شخصياته من الممثلات يختفين فى ملابس الرجال كجزء من حبكة القصة (كما تفعل بورشيا فى أثناء المحاكمة وجيسيكا فى أثناء هربها مع لورنزو فى هذه المسرحية)

وثانيتهما: أنه كان من البراعة والذكاء بأن يجعل شخصية الأنثى تبدو جذابة ليس بجمالها الخارجي، بل بظرفها ورقتها وسرعة بديهتها وخفرها وطهارتها وطريقة سلوكها.

وعلى الرغم من ورود إشارة واحدة فى كلام شكسبير يشكو فيها من قيود المسرح، فإنه كان واقعيا بحيث استغل ما هو موجود إلى أبعد الحدود، ولم يجعل القيود تشل حركته، بل استمد منها مزيدًا من حرية الحركة والتصرف.

٦- قصة المسرحية ومصادرها

قصة هذه المسرحية ليست مبتكرة فقد وردت أجزاء منها، كقصة الصناديق، فى مصادر قديمة منها اليونانى ومنها الإيطالى ومنها الإنجليزى، وكقصة رطل اللحم التى وردت فى مصادر شرقية فارسية ومصرية قديمة وغربية لاتينية وإيطالية وإنجليزية، كما أن هناك مسرحيات سابقة جمعت القصتين معًا منها الأجنبى ومنها الإنجليزى، وليس من السهل أن نحدد على أى من هذه المصادر تمكن شكسبير من الاطلاع ويرى بعض الباحثين أنه بالنظر إلى التأثير الكبير الذى كان للنهضة الأوربية التى بدأت فى إيطاليا على معظم أجزاء أوربا فى عصر شكسبير، وبالنظر إلى أن هنالك بعض الأدلة التى تشير إلى أن شكسبير كان يعرف اللغة الإيطالية بعض المعرفة، فإن من المحتمل جدًا أن يكون قد تأثر بشكل خاص بإحدى قصص المجموعة

الإيطالية المسماة البكرونة (ii pecorone) لمؤلف يسمى سير جيوفانى (ser giovany) كتبت فى القرن الرابع عشر (١٣٧٨م) وطبعت فى القرن السادس عشر (١٥٥٤م) ففى هذه القصة عدد من الأحداث الهامة التى ترد فى مسرحية تاجر البندقية لشكسبير، والتى لم ترد فى المصادر الأخرى، ففى هذا المصدر الإيطالية تجد قصة الاتفاقية المتعلقة برطل اللحم، كما نجد الوسيلة نفسها التى أمكن أن يتفادى بها تنفيذ شروط الاتفاقية، ونجد أن امرأة هى التى تستخدمها، كما نجد أيضًا حادثة تبادل الخواتم، ونلاحظ أن بلدة بلمونت هى المكان الذى تقطن فيه المرأة.

وربما كان هذه أحد الأسباب التى حدت بشكسبير أن يختار إيطاليا مجالاً لمسرحيته.

ومن المسرحيات الإنجليزية التى ظهرت قبل ظهور المسرحية شكسبير بسنوات قليلة والتى تعالج الموضوع نفسه مسرحية (يهودى مالطا) (the je of malta) تأليف الروائى كريستوفر مارلو (Christopher Marlowe) الذى كان معاصرًا لشكسبير، وألف عدة روايات عظيمة، والذى لو امتد به الأجل لكان من الممكن أن يصبح من أعظم الكتاب والشعراء فى عصره، ولكنه مات عن تسعة وعشرين عامًا، ويعتقد الكثيرون أنه كان لنتاجه بعض الأثر على أعمال شكسبير.

إن الاطلاع على الأعمال المختلفة التى عالجت الموضوع نفسه، والمصادر التى يمكن أن يكون شكسبير قد اطلع عليها بشكل أو بآخر تزيدنا قناعة بأن شكسبير كان أعظم من مؤلفى تلك الأعمال بدرجات، فقد كانت معظم قصص شكسبير مقتبسة عن غيرها، ولكن عظمته تتجلى فى الطريقة التى يحبك بها أطراف القصة لتصبح مسرحية فنية متكاملة، وفى الطريقة التى يصور فيها الشخصيات المتعددة ويطورها بحيث تصبح إنسانية واقعية، وفى الشعر العظيم الذى بز فيه جميع أقرانه من الشعراء الإنجليز ومعظم الشعراء الآخرين فى جميع أنحاء العالم، أما أحداث القصة فتتلخص فيما يلى:

أنطونيو أحد تجار مدينة البندقية الناجحين، يستنجد به صديقه الحميم باسانيو ويطلب منه بعض المال لكى يتمكن من طلب يد فتاة جميلة غنية تدعى بورشيا، وتسكن بلدة بلمونت، ويتنافس على خطب ودها كبار القوم من داخل البلاد وخارجها، إلا أن أنطونيو لا يملك المال اللازم لأن تجارته جميعها فى أعالى البحار، ولما تصل السفن المشحونة بالبضائع، ولكنه بدل باسانيو على مراب يهودى يدعى شايلوك يمكن أن يقرضه ما يريد من المال.

وكان هذا المرابى لا يُكِنُّ ودا لأنطونيو لأسباب كثيرة منها أن أنطونيو كان دائمًا يسخر منه ويعيره بأنه يهودى، كما أنه كان يقرض الناس مالاً دون فوائد مما جر الخراب على شايلوك

كمراب لا يقرض المال إلا بفوائد عالية، ولذلك ينتهز اليهودى الفرصة المواتية عندما يأتيه باسانيو وأنطونيو لطلب المال، لينتقم من أنطونيو شر انتقام، فيوافق على إقراض المبلغ المطلوب على شرط – يقوله مازحًا – بأن يتعهد أنطونيو برد المال فى وقت محدد وإلا أصبح لشايلوك الحق فى أن يقتطع رطلا من اللحم من أى جزى من أجزاء جسمه، ويوافق أنطونيو على ذلك الشرط، ويحصل باسانيو على المال اللازم له، ويستطيع أن يحظى بموافقة بورشيا على الزواج منه بعد أن يخفق الخطاب الآخرون الذين كانت تستعمل معهم لعبة من ألعاب الحظ فقد كانت تعرض عليهم صناديق ثلاثة لا يوجد اسمها إلا داخل واحد منها، وقد حالف الحظ باسانيو واختار الصندوق الصحيح وتزوج من بورشيا.

وقد كان لليهودى ابنة تدعى جيسيكا لم تكن تحب الحياة مع والدها، فاختارت أن تهرب مع حبيبها لورنز ومتخفية فى ملابس الرجال ومصطحبة معها خادمها لونسلوت جوبو وبعض أموال والدها.

وتنتشر الأخبار (التى ربما كان اليهودى مصدرها) بأن مراكب أنطونيو قد غرقت فى البحر، وأنه فقد كل تجارته، ويطالب شايلوك بما تم الاتفاق عليه مع أنطونيو عندما لا يرد الدين فى الوقت المحدد.

ويهرع باسانيو لنجدة صديقه، فى حين تتفق بورشيا مع أحد أقاربها من كبار المحامين على أن تنوب عنه فى الدفاع عن قضية أنطونيو، فتلبس لباس الرجال، وتحاول أن تثير شعور الرحمة عند اليهودي، كما يحاول باسانيو أن يثنيه عن طلبه بأن يعرض عليه أضعاف ما استدانه من المال، إلا أن شايلوك يصر على أخذ حقه بموجب صك الدين، وعندها تطلب بورشيا منه أن يستعد لقطع رطل اللحم من جسم أنطونيو بشرطين: الأول ألا بريق قطرة واحدة من الدم، والآخر أن يقطع رطلاً واحدًا من اللحم من غير زيادة أو نقصان فإذا حصل أى من الأمرين فإن قانون المدينة يعاقب على ذلك عقابًا شديدًا.

فيسقط فى يد شايلوك ويحاول الحصول على رأس ماله فقط، ثم ينزل عنه جميعه، ولكن المحكمة تقضى بمعاقبته وتجريده من ثروته كلها عقابًا له على تآمره إلى إزهاق روح مسحى من سكان البندقية، كما تقضى بأن عليه أن يعتنق الديانة المسيحية.

وتنتهى المسرحية بأن نعلم أن الإشاعة التى راجت عن غرق مراكب أنطونيو لم تكن صحيحة، وأن لورنز وجيسيكا قد أصبحا موسرين، كما نضحك مع أشخاص المسرحية من قصة خواتم باسانيو وجراتيانو، وينتهى كل شىء على خير بالنسبة للجميع ما عدا المرابى شايلوك.

٧- الشخصية اليهودية عبر التاريخ

بما أن الشخصية الرئيسية فى المسرحية التى بين يدى القارئ هى شخصية شايلوك اليهودى (على الرغم من تسمية المسرحية باسم تاجر البندقية الذى يقصد به أنطونيو) وبما أن من الأهمية بمكان للقارئ العربى أن يلقى بعض الضوء على الجوانب المختلفة لهذه الشخصية، التى ربما لم تكن تختلف كثيرًا فى السابق عن شخصية اليهودى المعاصر إلا من حيث مواكبتها لتطورات العصر واتساع رقعة نفوذها وسيطرتها على أنحاء مختلفة من العالم، لذلك سنحاول إبراز هذه الجوانب المختلفة معتمدين فى ذلك الموضوعية ومستندين إلى الوثائق والروايات التى يمكن الاعتماد عليها.

كما سنحاول بقدر المستطاع التعرف على بعض العوامل التى أدت إلى تكوين تلك الصفات، باعتبار أن الإنسان ابن حضارته (ونستعمل كلمة الحضارة هنا بالمعنى الواسع جدًا لهذا التعبير أى كمرادف لكلمة culture الإنجليزية التى يقصد منها اليوم طريقة الحياة بأكملها التى تساهم فى تكوينها عناصر متعددة جدًا منها: التاريخ والدين والتقاليد والأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلخ) ومع أن من أشق الأمور إيجاز هذا كله فى صفحات قليلة فإننا سنحاول ذلك آملين أن يخرج القارئ ولو بصورة فيها شيء من الوضوح عما نقصد إليه.

أولاً: لمحات من التاريخ اليهودى

سنبدأ أولاً بإلقاء نظرة سريعة جدًا على تاريخ الشعب اليهودى، ونختار على الخصوص تلك الأحداث التى نعتقد أنه كان لها أثر بالغ فى تكوين الشخصية المميزة للإنسان اليهودى على مر العصور.

إن معظم التاريخ اليهودى القديم يستند إلى ما هو وارد فى التوراة أو ما يسمى بالعهد القديم من الكتاب المقدس the holy bible [٦] الذى يبدأ رواية التاريخ منذ بدء الخليقة،

---

(٦) الكتاب المقدس يتألف من جزأين كبيرين: أولهما العهد القديم the old testament أو التوراة وهو كتاب اليهود المقدس، والعهد الجديد the new testament وهو الكتاب المقدس عند المسيحيين.

يتألف العهد القديم أو التوراة من عدد من الأسفار يعترف البروتستانت بتسعة وثلاثين منها: أهما الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى وما أوحى إليه من عند الله، وهى سفر التكوين والخروج والتثنية واللاويين والعدد/ وفى هذه الأسفار مبادئ التاريخ اليهودى وأهم الشرائع والأحكام والعبادات.

وما نود أن نؤكده هنا أن التوراة الموجودة لدينا حاليًا هى شتات جمع فى أماكن متعددة وفى فترات طويلة امتدت إلى أكثر من ستة قرون وتعاورت نسخها أيد لا تحصى، وجرى عليها من التعديل بالتحريف

وسنعتمد فيما نسوقه من أهم الأحداث التى تهمنا هنا على الترجمة الإنجليزية التى تمت فى القرن السابع عشر فى عصر الملك جيمس الأول فى إنجلترا أو المسماة (the authorized version)

١ – كان من جملة الهجرات القبلية التى تمت فى الشرق الأدنى فى العصور القديمة هجرة النبى إبراهيم عليه السلام مع قبيلته (التى سميت فيما بعد بالعبرانيين) إلى العراق أولاً، ومنها بعد ردح من الزمان إلى فلسطين (التى كانت تسمى بلاد كنعان) والتى كان يقطن معظمها الكنعانيون (وهم قبيلة عربية) والفلسطينيون (المهاجرون إليها من الجزر اليونانية) يتبع ذلك هجرة إبراهيم إلى مصر وعودته منها ثم استقراره فى أرض كنعان بعض الوقت حيث ولد له إسماعيل وإسحق، ومن ذرية الأخير كان يعقوب (الملقب بإسرائيل)

٢ – كانت المرحلة التالية هى هجرة يعقوب وأولاده إلى مصر حيث مكثوا ردحًا من الزمن، ولكنهم فى المرحلة الأخيرة من إقامتهم فيها تعرضوا للاضطهاد لأسباب لا داعى للدخول فيها، مما اضطرهم للهرب من مصر زمن هرون وموسى من حفدة يعقوب والتيه فى صحراء سيناء أربعين عامًا. وبعد وفاة موسى أغار أفراد القبيلة بقياد يوشع خليفة موسى على أرض كنعان واحتلوا أجزاء منها (ربما حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد) وسكنوها، وكان رؤساؤهم السياسيون فى هذه الفترة يدعون القضاة ثم تحول الحكم إلى ملكية، ولكن البلاد المحتلة انقسمت إلى مملكتين إسرائيل، فى الشمال ومقرها السامرة ويهوذا فى الجنوب ومقرها أورشليم (القدس) التى بنى فيها الملك سليمان الهيكل المعروف باسمه، وقد كان هذا هو العصر الذهبى بالنسبة لهم فى بلاد كنعان (فلسطين).

٣ – امتد حكم القضاة فى بعض أجزاء كنعان حوالى أربعة قرون تخللها أكثر من مائة عام متفرقة، كان اليهود خلالها تحت حكم الشعوب المحيطة بهم كالكنعانيين والفلسطينيين والمدينيين والعمالقة إلخ [٧] كما لم يستطع بنو إسرائيل فى أى وقت من الأوقات أن يجعلوا كعنان (فلسطين) كلها خالصة لهم، بل كانوا عشائر تقيم فى كنف أهل البلاد الأصليين كما هو مذكور فى التوراة نفسها [٨] "فأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين والحيثيين والأموريين.. واتخذوا بناتهم

والتبديل والحذف والزيادة عن غير قصد أحيانًا وعن قصد فى كثير من الأحيان وبخاصة عندما تولى أمرها فئة يدعون الأحبار امتدت مدة تشجيعهم لها قورنا طويلة ولذلك فهناك شك فى صحة كثير مما جاء فى التوراة ليس بين المسلمين فحسب ولكن أيضًا بين المتخصصين فى الدراسات الدينية من المسيحيين بفئاتهم المختلفة.

(٧) عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون (طبعة لبان ١٩٦٧) ج٣ صفحتا ٣٨– ٣٩.

(٨) نفس المصدر صفحة ٤٠.

obeikandl.com

زوجات لهم، وأعطوا بناتهم لبينهم وعبدوا آلهتهم، وفعل بنو إسرائيل الشر فى عين الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والعشتاروت [٩]

٤ – سبى بنى إسرائيل وتشتيتهم:

لقد تم تدمير مملكتى بنى إسرائيل وتشتيت اليهود على مراحل:

(أ) ففى عام ٧٢١ ق. م تمكن سرجون ملك آشور من القضاء على مملكة إسرائيل فى الشمال وسبى سكانها من الإسرائيليين إلى بلاد آشور (فى العراق) حيث يبدو أنهم ذابوا واضمحلوا بين السكان الأصليين.

(ب) وبين الأعوام ٦٠٦ و ٥٨١ ق. م تم إخضاع المملكة الأخرى وهى يهوذا فى الجنوب على يد نبوخذ ناصر البابلى الذى هدم الهيكل فى القدس وسبى معظم السكان من الإسرائيليين إلى بابل حيث أقاموا زهاء نصف قرن.

(جـ) ومن الواضح أن الإسرائيليين قد استفادوا من تجربة السبى الأول، فقد نظموا أنفسهم هذه المرة للعودة إلى ما دعوها أرض الميعاد وعند ما عادوا كانت أعدادهم كبيرة ومنظمة وكانت حالتهم المادية حسنة جدًا.

(د) وقد سمح للإسرائيليين بالعودة منذ عام ٥٣٦ ق. م. بعد أن تغلب كورش الفارسى على البابليين وتمت العودة على فترات امتدت حتى عام ٤٣٢ ق. م. وقد أعادوا بناء هيكل سليمان ونظموا أنفسهم اجتماعيًا ودينيًا كفئة متميزة عن غيرها برغم أنهم كانوا تحت الحكم الفارسى.

(د) ثم أخذت البلاد ومن فيها يقعون تحت سيطرة قوة أجنبية الواحدة بعد الأخرى، كما هو معروف فى كتب التاريخ: فكان الفرس ثم المقدونيين خلفاء الإسكندر الكبير ثم الرومان وهنا نقف وقفة قصيرة للأهمية الأحداث التى وقعت أيام الحكم الرومانى الطويل للبلاد.

(و) فقد ظهر فى هذه الحقبة السيد المسيح من بين الإسرائيليين يبشر بدين جديد، وقاومه اليهود مقاومة شديدة إلى أن تمكنوا حسبما ورد فى الكتاب المقدس من استعداء السلطة الرومانية عليه وتسليمه لهم بخيانة أحد تلاميذه (يهوذا) له، ومطالبتهم بصلبه الذى تم حسب الرواية بعد ما غسل الحاكم الرومانى بيلاطس البنطى يديه من دمه، لعدم قناعته بأن السيد المسيح قد ارتكب إثما يستحق الصلب.

---

(٩) التوراة: سفر القضاة، الإصحاح الثالث الفترات ٥– ٧.

obeikandi.com

(ز) قام اليهود بثورة فى شمال فلسطين أيام الحاكم الرومانى تيطس أخضعها عام ٧٠م وشتت جزءًا منهم خارج البلاد،

(ح) قامت آخر ثورة لليهود فى أثناء حكم الإمبراطور الرومانى وانتهت بإخضاعهم وهدم هيكل سليمان وطرد الأغلبية العظمى منهم من البلاد، فأصبحوا منذ ذلك الحين مشتتين فى مختلف بقاع الأرض.

أما تاريخهم فى أيام العهد الإسلامى، وكذل تاريخيهم الحديث والمؤامرات الصهيونية والعالمية التى أعانتهم على الاستيلاء على جزء من فلسطين وما تلا ذلك من حروب ومشاكل حتى يومنا هذا فأمره معروف ولا داعى لذكره هنا.

ثانيًا: العقيدة اليهودية [١٠]

بالإضافة إلى التوراة التى ورد ذكرها سابقًا والتى تكون جزءًا أساسيًا من عقيدتهم، هناك أيضًا التلمود ويتألف من بحوث أحبار اليهود فقهائهم فى شئون العقيدة والشريعة وما إلى ذلك فى ثلاثة وستين سفرًا تسمى "المشناة" وشروحها والتعليق عليها وتسمى "الجمارا" وقد استغرق تأليف هذه الأسفار وشروحها ستة قرون تقريبًا، امتدت من القرن الأول حتى السادس بعد الميلاد، ولا تقل أهمية التلمود لدى معظم الفرق اليهودية عن "أهمية العهد القديم نفسه، بل إن أهميته لتزيد لدى بعض فرقهم عن أهمية العهد القديم" [١١]

"وقد حاربت البابوية والحكومات المسيحية التلمود على اعتبار أنه كتاب وثنى يحتوى على تعاليم وثنية أفسدت اليهود وأساءت إلى الأسرة الإنسانية" [١٢]" وقد قررت الكنيسة حرقه وتم ذلك فى روما مركز البابوية عام ١٢٤٢ وفى باريس عام ١٢٤٤ ثم أعيد حرق ما طبع منه مجددا عامى ١٥٥٣ و١٥٥٤ فى عدة مدن إيطالية، وكذلك فى عامى ١٥٥٨ و١٥٥٩ واستمرت المطاردة بين أحبار اليهود وكرادلة الكنيسة؛ هؤلاء يطبعون التلمود ويوزعونه على نطاق واسع، والكنيسة تبحث عن نسخه وتجمعها وتصادرها وتعاقب أصحابها، إلى أن انتهى

---

(١٠) ينصح القارئ الذى يرغب الاطلاع على العقيدة اليهودية بشكل أكثر تفصيلا مما سيذكر فى هذه المقدمة القصير الرجوع إلى المرجع التالى:

الدكتور على عبد الواحد وافى: اليهودية واليهود (مكتبة غريب. القاهرة، ١٩٧٠)

(١١) المصدر نفسه: صفحة ٢٣

(١٢) مصطفى السعدني: أضواء على الصهيونية (القاهرة ١٩٦٩) صفحة ٨٩.

obeikandl.com

الأحبار إلى أنه لا جدوى من استمرار ذلك الصراع الدموى، وانتهى الأمر إلى الاقتصار على طبع التعليمات التى لا تسىء إلى عواطف المسيحيين، على أن يحفظ اليهود التعليمات الأخرى فى الصدور (أن تترك فراغات فى النسخ المطبوعة يملؤها رجال الدين اليهود عندما يستعملها أبناء طائفتهم) وقد حرص هؤلاء على احترام تعاليم التلمود بحذافيرها وتطبيقها إلى أن انتهوا من وضع السياسة اليهودية للعصر الحديث التى اكتشفت فى أوائل القرن العشرين، والتى أطلق عليها، "بروتوكولات حكماء صهيون" (١٣)

ثالثًا: النظام الاجتماعى والاقتصادى لليهود

نذكر هنا بإيجاز شديد ما ذكره الدكتور على عبد الواحد وافى عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لليهود حتى فترة استقرارهم فى أرض كنعان:

١ – كانوا فى مصر خاضعين لشرائع البلاد ولكنهم لم يحرموا من حق الملكية التى كانت تتمثل فى الأنعام بشكل رئيسى، وكانت الثروات أسرية لا فردية، شأنهم فى ذلك شأن القبائل الرحل فى ذلك الوقت الذين كان الرعى مهمتهم الرئيسية، وكان هذا حالهم أيضًا بعد خروجهم من مصر وقبل استقرارهم فى أرض كنعان.

٢ – بعد احتلال أرض كنعان بدءوا ينتقلون من حياة البداوة إلى حياة التحضر والاستقرار واتجهوا إلى زراعة المحاصيل، وتعقدت حياتهم وتعددت أنواع الملكية لديهم فشملت الأراضى والرقيق والأنعام والمنقولات والنقود، وأصبح لكل نوع من هذه الأنواع نظمه وقوانينه وآثاره الخطيرة فى الحياة (١٤)

أما حياتهم الاجتماعية والاقتصادية بعد السبى فتتميز بما يلى:

(أ) بما أنهم كانوا مشتتين فى الأرض وليس لهم نظام سياسى خاص بهم، فقد كانوا يحرصون على العيش فى أحياء خاصة (أصبحت تسمى ال ghetto أو المعزل فى أوربا)، وينظمون حياتهم الدينية والاجتماعية والقضائية والاقتصادية كفئة منفصلة عن المجتمع الذى يحيط بهم، وعلى أسس من دينهم وتقاليدهم، ويتزعم كل مجموعة منهم حاخام أو rabbi خاص بها.

---

(١٣) المصدر نفسه: صفحة ٩٢

(١٤) وافي: المصدر السابق صفحات ١٠٠ –١٤١

(ب) سواء كان من المسموح لهم أن يتملكوا أم لا، فقد كانوا يتجنبون امتلاك الأرض بوجه عام وكانوا يحترفون التجارة ويتعاملون بالأموال بأشكال مختلفة ومنها الربا، حتى أصبحوا من أغنى أغنياء العالم فى العصر الحاضر.

(جـ) كانوا ينشئون أبناءهم على أنهم شعب مميز يفوق غيره ذكاء وفطنة، وأنهم لا وطن لهم إلا فى أرض الميعاد التى لا خلاص لهم إلا بالعودة إليها فى يوم من الأيام.

(د) كانوا يهتمون بالعلم والثقافة إذ لم يكن محظورًا عليهم دخول الجامعات وقد برز منهم رجال مشهورون جدًا فى العصر الحديث. أما فى العصور الوسطى فقد كانت هنالك مهنتان رئيسيتان يهتمون بهما وهما: الطب والترجمة، اللتان تتيحان لهم الاقتراب من الحكام وأولى الأمر والاطلاع على أدق أسرار الدولة.

رابعًا: التقاليد اليهودية

لقد انبثقت التقاليد اليهودية من مصدرين رئيسيين: هما التوراة، والتلمود، ثم نمت وتطورت نتيجة للتجارب المتنوعة فى تاريخهم الطويل وبشكل خاص بعد السبى الثانى المسمى بالسبى البابلى، والذى وردت الإشارة إليه فيما سبق، ثم بعد تشتيتهم أيدى سبأ على يد هدريان عام ١٣٥ بعد الميلاد وأثرت فى ذلك عوامل كثيرة جدًا سنحاول أن نشير إليها إشارات سريعة فيما يلى من كلامنا – وقد كان من نتائج هذه التقاليد المتوارثة والمطبقة بين الفئات اليهودية فى مختلف أنحاء العالم بصورة متشابه تقريبًا، أن تكونت لدى المجتمعات التى عاش فيها اليهود سواء كانت مسلمة أو مسيحية، صورة تكاد تكون واحدة للشخصيات اليهودية، برغم التفاوت فى المعاملة بين مجتمع وآخر، ففى المجتمع الإسلامى مثلاً كانت معاملة اليهود حسنة على العموم وحسنة جدًا فى كثير من المجالات، إلا عندما كان هؤلاء يقفون موقفًا واضح العداء من دعوة أو نظام.

أما فى المجتمع المسيحى فعلى الرغم من اختلاف معاملة اليهود ما بين بلد وآخر فإنها كانت سيئة بوجه عام، فقد كانوا مضطهدين فى أوربا غربها وشرقها على مدى العصور لأسباب كثيرة أهمها العلاقة بين الديانتين اليهودية والمسيحية، فالمسيحيون يعترفون بأسس الديانة اليهودية واعتبارها جزءًا لا يتجزأ من عقيدتهم، فى حين يرفض اليهود الديانة المسيحية ولا يعترفون برسالة السيد المسيح الذى تآمروا على صلبه وبقى دمه معلقًا فى رقابهم حتى العصر الحاضر عندما تآمرت القوى الصهيونية المعاصرة واستفادت من فظائع الحكم النازى فى ألمانيا فأخذت تضغط على الفاتيكان ليبرئهم من تلك الجريمة، وقد تم لهم ذلك بإصدار الفاتيكان للوثيقة التاريخية بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٦٣ التى تلقى تبعة تلك الجريمة على الإنسانية جمعاء.

obeikandl.com

فـإذا ألقينـا نظـرة علـى أوربـا الغربيـة فقـط فـى العصـور الوسـطى نلاحـظ الحركـات الاضطهادية التالية لليهود:

١ – فى إنجلترا:

(أ) فى أثناء حكم الملك جون (١١٩٩ – ١٢١٦) أمر فى إحدى المرات بحبس جميع اليهود فى أنحاء إنجلترا.

(ب) وقد عذبهم الملك هنرى الثالث (١٢١٦ – ١٢٧٢) وأمر بحبسهم بعد اكتشافه أنهم كانوا يغشون العملة المتداولة ثم أمرهم عام ١٢٣٠ بأن يدفعوا للخزينة البريطانية ثلث أموالهم المنقولة.

(جـ) أيام حكم الملك إدوارد الأول (١٢٧٢ – ١٣٠٧) أصدر مرسومًا ملكيًا يحرم على اليهود ممارسة الربا الفاحش أو رهن أرض الرعايا البريطانيين.

(د) وبعد أن اتهموا بذبح أحد الأطفال المسيحيين، أصدر الملك نفسه عام ١٢٩٠ حكمًا بطرد جميع اليهود من بريطانيا ولم يسمح لهم بالعودة إليها إلا بعد حوالى ثلاثة قرون.

٢ – فى فرنسا:

(أ) طرد اليهود من فرنسا أيام الملك فليب أوجستوس (١١٨٤ – ١٢٢٤م) ولكنهم عادوا بعد حوالى عشرين عامًا.

(ب) أصدر الملك لويس التاسع (١٢٢٦ – ١٢٧٠) مرسومًا بإلغاء ثلث ديون اليهود على الحكومة والكنيسة والشعب.

(جـ) طردوا مرة ثانية من فرنسا فى عهد الملك فيليب الجميل (١٢٨٥ – ١٣١٤م) ولكنهم تسللوا مرة أخرى.

(د) فى عام ١٣٤١ هاجم الشعب الفرنسى اليهود هاجم الشعب الفرنسى اليهود وبحوا منهم عددًا كبيرًا وطردوهم، ولم يؤذن لهم بالسكنى فى المدن الفرنسية إلا فى أواسط القرن السادس عشر. [١٥]

---

(١٥) جميع هذه المعلومات عن وضع اليهود فى إنجلترا وفرنسا مستقاة من كتاب مصطفى السعدنى أضواء على الصهيونية صفحات ٨٩ – ٩١

obeikandl.com

خامسًا: خصائص الشخصية اليهودية عبر التاريخ

بعد هذه التقدمة عن بعض العوامل التى أثرت فى تكوين الشخصية اليهودية، سنحاول فيما يلى أن نركز على خصائص تلك الشخصية التى كانت تتجلى فى نظرة المجتمعات المختلفة إليهم والتى كان اليهود يعيشون فيها، وسنقصر كلامنا على القرون الوسطى بشكل خاص أى على الفترة السابقة لتأليف مسرحية "تاجر البندقية" التى هى محور بحثنا هنا. ثم ننتقل إلى المسرحية نفسها لنرى ما إذا كانت جميع هذه الخصائص أو بعضها واضحة فيها، وما هو موقف المؤلف من تلك الشخصية:

١ – وأول ما يلفت نظرنا من خصائص الشخصية اليهودية فى الحقبة التى نتحدث عنها، عزلة اليهودى عن المجتمع الذى كان يعيش فيه وتعصبه لدينه وعشيرته، فقد كان اليهود كما ذكرنا يعيشون فى الأحياء الخاصة بهم ولا يختلطون بأفراد المجتمع الكبير ولا يشاركونه حياته الاجتماعية بل يقتصر اتصالهم به على المعاملات التجارية والمالية الصرفة، كما أنهم كانوا يلبسون ملابسهم الخاصة فى كثير من الأحيان ويأكلون من لحم ذبائحهم الخاصة التى يشرف عليها حاخاماتهم ويسمونه "الكوشير" ولا يعيرون أو يستعيرون أوانى الطبخ إلى غير ذلك من التصرفات التى كانت تجعل المجتمع الكبير إما أن يمقتهم أو يكون حذرًا فى التعامل معهم على الأقل، أما العزلة فهم يدعون أنها مفروضة عليهم لأنهم أقليات صغيرة، ولأن أصحاب الديانات الأخرى يكنون لهم البغضاء بسبب من دينهم وعقيدتهم، ولكن الواقع يخالف ذلك فكثيرون من الأقليات فى بلدان العالم المختلفة تحتفظ بمعتقداتها وبعض تقاليدها ولكنها تنسجم مع المجتمع الكبير الذى تعيش فيه، وتشارك على قدم المساواة فى نشاطاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتعتبر لذلك جزءًا لا يتجزأ من ذلك المجتمع أما عزلة اليهود فلا شك أنها من صنع أيديهم وبمحض إرادتهم ويمكن ردها إلى بعض معتقداتهم التوراتية والتلمودية وكذلك إلى أحداث تاريخهم التى ورد ذكرها آنفًا.

فالشريعة اليهودية المتمثلة فى المصدرين المذكورين تجعل اليهود شعب الله المختار الذى اصطفاه الله وفضله على العالمين، وتنظر إلى ما عداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة وتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفى كثير من شئون الاجتماع، والأمثلة على ذلك

كثيرة فى التوراة [١٦] فالتمييز العنصرى تمتد جذوره عبر التاريخ إلى التوراة، أما التلمود فهو مملوء بأمثلة ترفع من شأن اليهودى وتحط من شأن غيره من بنى الإنسان وهذه بعض الأمثلة:

* "سخر الله لشعبه المختار الحيوان والإنسان لأنه يعلم أن اليهود تحتاج لنوعين من الحيوان: نوع أخرس كالدواب والطير ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين من أهل المشرق والمغرب، فقد سخرهم لنا لخدمتنا. ولنا أن نمتطى ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج فنونهم لمنفعتنا"

* "إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه"

* "لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر"

وهم علاوة على ذلك ينعزلون عن المجتمعات التى يعيشون فيها لأنهم يريدون أن يظلوا عنصرًا صافيًا يحافظون على نقائهم، وعلى عقيدتهم وتقاليدهم إلى أن يحين الوقت المقدر لرجوعهم إلى أرض الميعاد، وتعود فكرة أرض الميعاد إلى وقت السبى البابلى بالذات، ولكن من المؤكد أنها أقحمت فى أقدم أسفار التوراة الموجودة لدينا الآن لكى تبدو وكأنها قدر إلهى أو عهد من الله لأنبيائهم، فقد وردت فى أول سفر من أسفار التوراة وهو سفر التكوين العبارة التالية وظهر الرب لإبراهيم وقال له: "لنسلك أعطى هذه الأرض" [١٧] والمقصود هنا أرض كنعان، ثم وردت مثل هذه العبارة على لسان الرب مخاطبًا موسى وتلتها وعود أخرى كثيرة" [١٨] "إلا أن ذلك الحنين ارتبط عبر الأجيال بقدوم المسيح وحلول الآخرة آنذاك" [١٩] ولذلك فإن امتداده إلى ما بعد قدوم السيد المسيح ليس له إلا مبرر سياسى محض اتفقت عليه الطائفة اليهودية.

٢ – تميزت الطائفة اليهودية أيضًا بالتعامل بالربا الذى كان محرمًا على المسيحيين والمسلمين وما يتبع ذلك من الحيلة والمكر والخداع، بحيث أصبحت هذه أيضًا من مميزات الإنسان اليهودى على مر الدهر. ولهذه الخصائص أيضًا جذور مذكورة فى التوراة والتلمود. كما

---

(١٦) انظر مثلا: سفر التثنية الإصحاح ٢٠ الفقرتين ١٣، ١٤ وكذلك سفر اللاويين الإصحاح ٢٥ الفقرات ٣٠ و٣٩ و٤٧ وسفر الخروج الإصحاح ٢١ الفقرات ٢و ٧– ١ وسفر التثنية، والإصحاح ٢٣ الفقرة ٢٠ وكذلك الإصحاح ١٥ الفترة ١٢ من نفس السفر والسفر التكوين الإصحاح التاسع الفقرات ٢٠– ٢٩.

(١٧) سفر التكوين الإصحاح ١٢ الفقرة ٧.

(١٨) أنظر مثلا: سفر الخروج الإصحاح السادس الفقرة ٤، وسفر التثنية، الإصحاح الأول، الفقرة ٨، وسفر أشعيا، الإصحاح الثاني، الفقرات ٢ – ٤ وسفر عاموس، الإصحاح التاسع، الفقرات ٩، ١٤ – ١٥.

(١٩) الدكتور إميل توما: جذور القضية الفلسطينية (بيروت ١٩٧٣ صفحة ١٨).

obeikandi.com

أنهـا تـدعمت بمـرور الـزمن بحكـم الأوضـاع التـى وجـد اليهـود أو وضـعوا أنفسـهم فيهـا فـى المجتمعـات المختلفـة، بحيـث أصـبح المـال مـن أهـم عناصـر القـوة بالنسـبة لهـم يسـتطيعون أن يسيطروا عن طريقه على تلك المجتمعات، ولا تهم الوسائل أو الأساليب التى يمكن بها جمعه أو استعماله.

فالربا مسموح به حسب الشريعة اليهودية، لكنه لا يجوز للإسرائيلى أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلى، أما غير الإسرائيلى فبماح له أن يمتصه ويتعامل معه بأبشع أنواع الربا الفاحش. (٢٠)

وهذه بعض أمثلة من التلمود أيضًا:

* "يسمح بغشى الأمى (أى غير اليهودي) وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش" (٢١)

* "إذا احتاج غير اليهودى إلى بعض النقود فعلى اليهودى أن يستعمل معه الربا المرة بعد الأخرى حتى يعجز عن سداد ما عليه، إلا بتنازله عن جميع أمواله" (٢٢)

أما الغش والمكر والخداع فلها أيضًا جذور توراتية وتلمودية لا يتسع المقام لذكرها هنا، وهى جميعها متصلة بالأساليب التى ترعرع اليهودى بحكم ثقافته الدينية وتقاليده المتوارثة على استعمالها وإتقانها مع غير اليهودى وقد وصفهم العهد الجديد (الكتاب المقدس عند المسيحيين) "بالأفاعى أولاد الأفاعى" كما أشار القرآن الكريم إليهم بقوله تعالى: "وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال" وأما التراث الأدبى العالمى سواء منه العربى أو الأجنبى فهو ممتلئ بأمثال هذه الإشارات، أو بتصوير الشخصية اليهودية كمثال حى للمكر والخبث والخداع.

٣ – أما الخاصية الثالثة لهذه الشخصية التى انحدرت عبر العصور التاريخية المختلفة فهى الكره المتبادل بين اليهود والمسيحيين بشكل خاص والأديان الأخرى بشكل عام، فعلى الرغم من اعتراف المسيحية والإسلام بالدين اليهودى بشكله الأصلى كدين منزل من عند الله، فإن اليهود لم يعترفوا بالأديان الأخرى برغم تبشير التوراة بالمسيح المنتظر، بل ساهموا كما ذكرنا سابقًا مساهمة أساسية فى صلب السيد المسيح، وقد تولد من هذه الكراهية وبخاصة بين المسيحية واليهودية أن كان المسيحى فى منتهى الحذر من اليهودى بل إن بعض تعاليم التلمود

---

(٢٠) أنظر مثلا سفر التثنية الإصحاح ١٥ الفقرة ٣ والإصحاح ٢٣ الفقرة ٢٠.

(٢١) مصطفى السعدنى: المصدر السابق صفحة ٨٨،.

(٢٢) المصدر نفسه، صفة ٨٧

التى كانت تدعو إلى استنزاف دماء المسيحى واستعمالها مع أنواع من الفطائر فى مناسبات وأعياد مختلفة سببًا فى فزع المسيحيين من اليهود وخوفهم الدائم من ارتكابهم جرائم قتل الأطفال والكبار واستنزاف دمائهم وقد أثبتت بعض الوقائع الثابتة وقوع مثل تلك الجرائم واعتراف مرتكبيها بأنها جزء من العقيدة اليهودية وأقربها إلينا جريمة ذبح الأب توما وخادمه إبراهيم عمار فى دمشق عام ١٨٤٠ والتى ما زالت وقائعها محفوظة فى سجلات وزارة العدل السورية حتى اليوم (٢٣)

٤ – ومن المميزات الأخرى للشخصية اليهودية حب المال إلى درجة العبادة، وما يتبع ذلك من بخل وتقتير، استعمال المال استعمالا غير إنسانى بقصد السيطرة على الغير وإذلاله إذا لم يكن من نفس العشيرة اليهودية، ومن طرق الاستعمال هذه الإقراض بالربا الفاحش الذى أشرنا إليه سابقًا.

٥ – كما أن المعروف عن اليهود أيضًا عدم التورع عن استعمال الجنس أى المرأة للوصول إلى مآربهم وفى التوراة المحرفة، حتى فى أقدام أسفارها، ذكر واضح لأمثلة متعددة من ذلك، ناهيك عن الانحلال الخلقى الذى يبدوا واضحًا أيضًا فى التوراة المتوفرة لدينا، والذى عرف عن المجتمعات اليهودية القديمة منها والحديثة على السواء.

٦ – ولا نريد هنا أن نستطرد لذكر وضع اليهودية والصهيونية العالمية وأساليبها فى محاولة للتسلط على العالم بأسره فى العصور الحديثة من استعمال للمال بقصد السيطرة على المصارف والتجارة والصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، وكذلك على تجارة الأسلحة والخمور ووسائل اللهو والقمار والرذيلة، وللسيطرة على السياسات الدولية والسياسيين، وكذلك التركيز أيضًا على العلم ومقاره ومنابره للسيطرة على عقول الناس وإفساد المجتمعات وهدم الإيمان وقلب الأنظمة إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره، فذلك خارج عن نطاق هذه الدراسة، ويمكن الاطلاع عليه فى الكتب والنشرات التى تصدرها مراكز الأبحاث العربية المختلفة، بعد أن أصبح الغزو الصهيونى لقلب البلاد العربية وأطماعه التى لا حد لها، أكبر خطر هدد هذه البقاع من الأرض فى تاريخها الطويل.

ولذلك فسننتقل الآن إلى دراسة شخصيات المسرحية التى بين أيدينا، بادئين بشخصية اليهودى شايلوك:

---

(٢٣) انظر كتاب مصطفى السعدني: أضواء على اليهودية صفحات ١٠٤ – ١٣٠.

obeikandl.com

٨ – شخصيات المسرحية

إن الحديث عن شخصيات المسرحية حديث طويل، وربما كان غير ضرورى لأنه لا يترك للقارئ أن يستنتج بنفسه من نص المسرحية الصورة التى أراد الكاتب أن يرسمها لكل من تلك الشخصيات، ولذلك فإنا سنتناول شخصية شايلوك فقط ببعض التفاصيل، أما بقية الشخصيات فسيكون حديثنا هنا موجزًا ومقتصرًا على معالمها الرئيسية فقط على أن يحاول القارئ أن يختار من النصوص ما يكمل الصورة ويزيد فى وضوحها، ويجلو جوانبه الأخرى.

(أ) شايلوك:

إن الصورة التى رسمها شكسبير لشخصية اليهودى تعكس معظم الصفات المميزة لها والتى ورد ذكرها فيما سبق من الكلام.

١ – أما انعزاليته فهى واضحة فى أكثر من موضع فى هذه المسرحية، استمع إليه مثلا يقول عندما يدعوه باسانيو ليتعشى معه ومع أصدقائه:

"لا... إنى اشترى منكم وأبيع لكم وأتحدث معكم، وأسير معكم، بيد أننى لن آكل معكم أو أشرب معكم، أو أصلى معكم" (٢٤)

فهو يتعامل معهم تجاريًا وماليًا ولكنه لا يريد أن يصبح جزءا من مجتمعهم (فتش عن أمثلة أخرى فى المسرحية)

٢ – وهو يبدو فى المسرحية كلها على هيئة وحش ضار لا مكان للإنسانية فى طريقة حياته وتفكيره. لاحظ مثلاً كم مرة يشار إليه بألفاظه "كلب، وذئب، وشيطان" كما أن معظم أشخاص المسرحية يشيرون إليه فى عديد من المواضع باليهودى فقط دون أن يذكروا اسمه اسمع مثلا سولانيو يقول: "فما عرفت قط مخلوقًا على صورة إنسان مثل هذه الرغبة الحادة الشرهة فى إلحاق أفظع ضروب الأذى ببنى الإنسان" (٢٥)

استمع أيضًا إلى جراتيانو يخاطب شايلوك فى منظر المحاكمة عندما يأبى الأخير أن يستجيب إلى تضرعات أصدقاء أنطونيو:

---

(٢٤) الفصل الأول، المنظر الثالث صفحة ٢٣.

(٢٥) الفصل الثالث، المنظر الثاني، صفحة ٩٢.

obeikandl.com

"إنك لتكاد تزعزع إيمانى وتدفعنى إلى اعتناق رأى فيثاغورى القائل بأن أرواح الحيوانات تتقمص أجسام البشر، ولا شك أن روحك الشريرة هى روح ذئب شنق لفتكه بآدمى، وأن روح ذلك الذئب قد هربت وهو فوق المشنقة، وسرعان ما تقمصتك وأنت فى بطن أمك الخبيثة.. " [٢٦]

وهو مخلقو مجرد من الرحمة ليس كما يصوره الآخرون فحسب، فمثلا يقول سلارينو: "لم ينكب البشر بأبشع من هذا الوغد المجرد من العطف والشفقة" [٢٧] بل باعترافه هو نفسه عندما يخاطب السجان قائلا:

"أيها السجان، حذار أن يفر منك، وإياك أن تحدثنى عن الرحمة" [٢٨] وقارن هذه الإشارات وغيرها وسياق القصة كلها بخطبة بورشيا الشهيرة عن الرحمة فى منظر المحاكمة:

"إن الرحمة لا يلزم بها الناس إلزامًا، وإنما هى كالمطر الرقيق يهطل من السماء، على ما تحبه وإنها لمزدوجة البركة، فهى تبارك من يعطى وتبارك من يأخذ.. أما الرحمة فهى أسمى من هذا السلطان، إن مقرها فى قلوب الملوك، وهى من صفات الله سبحانه.. [٢٩]

ثم انظر أيضًا كيف يمنح الدوق (رئيس المحكمة) الحياة لشايلوك عندما يكون مصيره فى يديه:

"ولكى ترى كيف تختلف نفوسنا عن نفسك، فإنى أهبك الحياة قبل أن ترجونى أنت فى ذلك"

إن المسرحية كلها فى الواقع صراع بين الخير والشر بين الرحمة والقسوة، بين قيم المسيحية التسامحية وبعض جوانب اليهودية العنصرية الشرسة.

٣ – أما التعصب للدين والعنصر فهو واضح أيضًا فى المسرحية بوجه عام وفى مواضع متعددة منها بوجه خاص، وهذا مثل واحد منا، عندما يعلن بسانيو قدوم أنطونيو، فيناجى شايلوك نفسه، ومما يقوله: "إنه يبغض أمتنا المقدسة" [٣٠]

---

(٢٦) الفصل الرابع، المنظر الأول، صفحة ١١٣.

(٢٧) الفصل الثالث، المنظر الثالث، صفحة ٩٦.

(٢٨) الفصل الثالث: المنظر الثالث، صفحة ٩٥.

(٢٩) الفصل الرابع، المنظر الأول، صفحة ١١٦.

(٣٠) الفصل الأول المنظر الثالث، صفحة ٢٣.

obeikandl.com

٤ – ودهاء شايلوك ومكره ليستا صفتين مميزتين لشايلوك فحسب يستعملهما لإقناع بسانيو وأنطونيو بالموافقة على شرطه لإبرام عقد الدين [٣١] بل هو يتفاخر بأنهما من صفات بنى جنسه من اليهود بل يعزوهما إلى النبى يعقوب عليه السلام. [٣٢]

٥ – أما حب شايلوك للمال وممارسته للربا الفاحش فأمران واضحان فى المسرحية وكذلك بخله الشديد الذى يدفع خادمه لونسلو للهرب من خدمته:

"إنى أكاد أموت جوعًا وأنا فى خدمته" [٣٣]

كما أن ابنته جيسيكا تصف دار أبيها بالجحيم وتشعر بالعار لانتسابها إلى أبيها [٣٤] وهى بدورها تهرب منها أيضًا.

ومن الأسباب التى تدفعه إلى كره أنطونيو أن الأخير ينافسه ماليًا ويسد عليه سبل جمع المال، بإقراضه المحتاجين بدون فائدة، إلا أن حبه للمال يفوق أى شيء آخر فى الوجود بما فى ذلك ابنته، فخسارة ابنته لا تساوى شيئًا مقابل خسارة بعض أمواله ومجوهراته، لاحظ ثروته المخفية عندما يكتشف هرب ابنته وكيف يبدأ بالهذيان ويخلط بين حزنه على فراقها وغضبه لخاسرة المال:

"ابنتى! دوقياتى! لقد هربت ابنتى مع مسيحي! يا لدوقياتى المسيحية! أين العدالة؟ وأين القانون؟ مالي، وابنتي! كيس مختوم، بل كيسان مختومان من الدوقيات المزدوجة قد سرقتهما منى ابنتي! والجواهر، حجران اثنان، نفيسان قيمان، سرقتهما ابنتي! يا للعدالة! إيتونى بالذهب، إن معها الحجرين الثمينين والدوقيات" [٣٥]، بل إن ماله هو حياته نفسها، ولا معنى لها بدونه، فها هو ذات يخاطب الدوق فى المحكمة عندما يعفو عنه ويمنحه الحياة ولكنه يصادر أملاكه وأمواله:

---

(٣١) انظر الفصل الأول، المنظر الثالث، أماكن متفرقة.

(٣٢) انظر قصة الخراف، الفصل الأول، المنظر الثالث، صفحة ٢٥

(٣٣) الفصل الثانى، المنظر الثاني، صفحة ٣٩.

(٣٤) الفصل الثانى، المنظر الثالث، الصفحتان ٤٥، ٤٦.

(٣٥) الفصل الثانى، المنظر الثامن الصفحتان ٦٣، ٦٤.

obeikandl.com

"خذوا حياتى ولا تبقوا علي، ولا تعفوا عني، وإنكم إيم الله لتأخذون بيتى وما يستند إليه هذا البيت، وإنكم لتنتزعون حياتى عندما تنتزعون من يدى ما أعيش به" (٣٦)

٦ – أما أهم الخصائص الأخرى التى تميز هذه الشخصية فهى الرغبة الجامحة فى الانتقام ليس من أنطونيو فحسب لأنه ينافسه ماليًا بل من المسيحيين جميعًا، وهنا نود أن ننوه بأمرين:

الأول: الكراهية المتبادلة بين اليهود والمجتمع المسيحى بأسره، وهو ما أشرنا إليه سابقًا.

والثانى: مسألة الانتقام عن طريق اقتطاع جزء من جسد أنطونيو المسيحي. وربما كان مرد هذه الفكرة كلها التى وردت فى كتب ومسرحيات سابقة والتى يرددها شكسبير هنا، هى ما ذكرنا سابقًا عن بعض تعاليم التلمود على وجه الخصوص، وبعض الأحداث الواقعية التى يتبين منها أن من التقاليد المتوارثة عند اليهود محاولة استنزاف دم المسيحيين فى مناسبات معينة.

أما كراهية شايلوك للمسيحيين ورغبته فى الانتقام منهم جميعًا فلاحتقارهم المتواصل له كما يقول، ولاضطهادهم له ولعشيرته، ولنزعة متوارثة عند قبيلته للأسباب التى ذكرناها سابقًا، فهى واضحة فى سياق القصة كلها، وفى كل جزء من المسرحية تقريبًا. وهذه بعض الأمثلة: فهو يخاطب نفسه قائلاً:

"إنى أمقته لأنه مسيحى.. فلو أنى تمكنت منه يومًا إذن لشفيت أحقادى القديمة. إنه يبغض أمتنا المقدسة" (٣٧)

وهو يخاطب السجان عند إلقاء القبض على أنطونيو قائل: "فأنا لن أسمح لنفسى أن أكون من أولئك البلهاء،.. الذين يهزون رءوسهم عطفًا عليك فى أحزانك، ويتحسرون ويستسلمون لشفاعة النصارى" (٣٨)

إن كراهية المسيحيين لشايلوك لا تقل عن كراهيته لهم وهى واضحة فى كل موضع من المسرحية يستطيع القارئ أن يجمع عشرات الأمثلة عليها.

---

(٣٦) الفصل الرابع: المنظر الأول صفة ١٢٥.

(٣٧) الفصل الأول: المنظر الثالث، صفحة ٢٣

(٣٨) الفصل الثالث: المنظر الثالث، صفحة ٩٦

obeikandi.com

أما تعطش شايلوك لرؤية دم المسيحى ينزف فإنها تؤلف محور قصة المسرحية وهى واضحة بشكل خاص فى منظر المحاكمة، فالسكين مجهزة، والميزان مجهز، وفرحة شايلوك لا توصف عند ما يشعر أن المحكمة ستحكم لصالحه.

وعلى الرغم من جميع هذه الصفات التى يبرزها شكسبير فى المسرحية كما أبرزها كثيرون من قبله فإن شكسبير يسمو عليهم جميعًا بإنسانيته الواسعة الآفاق ويحاول أن يعطى ولو لمحة خاطفة عن عواطف شايلوك الإنسان أمام جمهور واضح العداء لليهود واليهودية فى عصره. فهو مثلا يكثر من المناسبات التى يظهر فيها المسيحيون الاحتقار الشديد لشايلوك ويدعونه بالكلب والشيطان إلخ، بحيث تبدو رغبته فى الانتقام سلوكًا مقبولاً لو لم يبالغ فيه إلى درجة الإجرام ثم هو يضع فى فم شايلوك كلامًا يشكو فيه من احتقار المسيحيين ومعاملتهم السيئة له ولعشيرته من اليهود، باعتبار أنه إنسان مثلهم (ويتناسى طبعًا الأسباب التى تجعلهم يفعلون ذلك) "أفليس لليهودى عينان؟ أفليس لليهودى يدان، وأعضاء وطول وعرض وحواس وعواطف؟ أفلا يطعم الطعام نفسه وتؤذيه الأسلحة نفسها؟ أفليس هو معرضًا للأمراض نفسها أو لا تشفيه الوسائل عينها؟ أفلا يشعر بالحر والبرد صيفًا وشتاءً، شأنه فى ذلك شأن المسيحي؟ أو لا ندمى إذا أوخزتمونا؟ ونضحك إذا دغدغتمونا؟ وإذا دستم لنا السم أفلا نموت؟ وإذا ظلمتمونا أفلا نعمد إلى الانتقام؟...

(ونحن نتفق مع شكسبير فى هذا وننادى بأن اليهودى إنسان ما دام يتصرف كإنسان، وإنه يجب أن يعمل على هذا الأساس إذا تخلص من عنصريته وأطماعه المعروفة لدى العرب والمسلمين جميعًا)

بعد هذا التحليل المطول نوعًا لشخصية شايلوك ننتقل إلى تحليل موجز جدًا لشخصيات المسرحية الأخرى.

(ب) بورشيا:

يقول النقادون إن هذه الشخصية من أفضل الشخصيات النسائية التى رسمها شكسبير إن لم تكن أفضلها جميعًا، فمع أنها كأنثى لا تقل عن الشخصيات النسائية الأخرى أنوثة (حتى جولييت) فإنها أكثر اتزانًا وتعقلاً وأقوى شخصية من الأخريات طبعًا

وتجمع شخصيتها بشكل رئيسى الصفات التالية:

١ – **الظرف وسرعة البديهة وروح الدعابة:** (لاحظ حديثها مع ناريسا فى المناسبات المختلفة وكلامها مع الخطاب الكثيرين وكذلك سلوكها فى أثناء المحاكمة).

٢ – مقدرتها العقلية: إن تحلى امرأة أخرى بمثل هذه المقدرة يجعل منها عادة شخصية قوية جدًا بعيدة عن أنوثة المرأة، إلا أن شكسبير لم يجعل إحدى هاتين الصفتين تطغى على الأخرى.

٣ – **سخاؤها وكرمها الفطريان:** فبورشيا تمثل تلك الطبقة الأرستقراطية التى لم تدعها الحاجة إلى التفكير فى المال، وهى بذلك تختلف عن أنطونيو، ولذلك فهى تتصرف تصرف العظماء دون أن يبدو عليها أى تكلف فى ذلك.

٤ – **خفرها وحياؤها:** فهى طبيعية فى تصرفها ولا يبدو عليها التكليف أو حب الظهور (لاحظ حديثها مع ناريسا، وكذلك مع باسانيو عندما تبوح له بحبها دون أن يبدو أنها تفعل ذلك).

٥ – **جديتها:** فعلى الرغم من روح الدعابة التى تتمتع بها فإنا تدهشنا – عندما يحين الوقت المناسب – بالانقلاب المفاجئ من الهزل إلى الجد (قارنها بهذه المناسبة مع جراتيانو)

(جـ) أنطونيو:

تحتل هذه الشخصية مركزًا رئيسيًا فى المسرحية بحكم أن صاحبها هو الذى وقع صك الدين الذى أدى إلى المتاعب ولكنه مع ذلك لا يبدو من الشخصيات التى تترك القارئ ذلك الأثر العميق الذى تتركه الشخصيتان السابقتان، أما أهم صفاته فهى:

١– **كآبته:** التى لا ندرى لها سببًا فهو تاجر مرموق يستطيع أن يتمتع بالحياة بالشكل الذى يريد، وربما قصد شكسبير من رسم هذه الصفة فيه منذ البداية أن يعقد القارئ للمصائب القادمة، ومهما يكن من أمر فإن هذه الكآبة وسلوك عدم المبالاة، ثم الاستسلام السريع كما هو مقدر له لا تجعل منه شخصية من الشخصيات القوية فى المسرحية.

٢ – **شعبيته:** فهو محبوب ومحترم لدى الجميع باستثناء شايوك طبعًا.

٣ – **صداقته القوية لباسانيو:** تلك الصداقة التى تصل إلى حد التضحية بالنفس فى سبيل إسعاد الصديق أو تخليصه من المشاكل.

٤ – **غناه ولا مبالاته بالمال:** وهما أمران واضحان فى المسرحية.

٥ – **تعصبه ضد اليهودى:** هذا على الرغم مما يظهر فى المسرحية من شعبيته وكرم أخلاقه، لذلك نستغرب أن يكون لديه هذا الشعور غير العادى.

(د) باسانيو: وأم ما يميز هذه الشخصية.

obeikandi.com

١ – **روح المرح:** التى تجعل من باسانيو شخصية مغايرة لأنطونيو الدائم الكآبة، (لاحظ الانقلاب الذى حصل فى شخصيته عند لقائه ببورشيا).

٢ – **حبه الشديد لأنطونيو:** فنحن لا نلحظ هذا الحب مثلا عند سلانيو وسلارينو لولى نعمتهما أنطونيو، ولكن باسانيو يؤرقه القلق على مصير أنطونيو ويكاد حبه إياه يفوق حبه زوجته بورشيا عندما يكون صديقه فى أزمة كالأزمة التى تعرض لها.

(هـ) جراتيانو: تتميز شخصيته بصفتين رئيسيتين هما:

١ – **محاولته الترفيه عن الآخرين:** وتخليصهم من كآبتهم كما يفعل مع أنطونيو وذلك عن صدق ودون إسراف فى المزاح برغم إسرافه فى الكلام.

٢ – **مرحه وحضور بديهته:** إلا أن تعبيراته المرحة كثيرًا ما تكون لاذعة للآخرين كما هو الحال فى منظر المحاكمة.

(و) جيسيكا: وتتصف بما يلى:

١ – **بساطتها وتصرفها** بخفة عندما يتاح لها المجال، إلا أن خشونة والدها فى معاملتها قد ولدت فيها شيئًا من حب الخداع والتكتم.

٢– **خيانتها:** فهى غير مخلصة لا لوالدها، ولا لعقيدتها، ولا لعشيرتها، ويبدو فى شخصيتها شيء من الخشونة فى التصرف والتعبير، (لاحظ طريقة تصرفها بثروة والدها وحديثها عنها).

٣ – **سحرها وجمالها:** وهما صفتان تستطيعان فى أحيان كثيرة أن تطغيا على عيوب الشخصية.

٤ – **حساسيتها وحبها للموسيقى.**

٥ – **خفرها وحياؤها.**

(ز) لورنزو: ومميزاته:

١ – حبه الشعر والموسيقى.

٢ – طبيعته غير العملية.

٣ – تمسكه بالأمانة والشرف.

obeikandl.com

شخصيات المسرحية

دوق البندقية		Duke of Venice
أمير مراكش	من خطاب بورشيا	Price of morocco
أمير أرغونة		Price of arragon
أنطونيو	أحد تجار البندقية	Antonio
بسانيو	صديقه وهو كذلك من خطاب بورشيا	Bassanio
سولانيو	أصدقاء أنطونيو وبسانيو	Salannio
سالارينو		Salarino
جراتيانو		Gratiano
لورنزو	حبيب جيسيكا	Lorenzo
شايلوك	ثرى يهودي	Shylock
توبال	يهودى صديق لشايلوك	Tubal
لونسلو جوبو	مهرج خادم شايلوك	Launcelot gobo
جوبو الشيخ	والد لونسلو	Old gobo
ليوناردو	خادم بسانيو	Leonardo

obeikandl.com

بالتزار	خادما بورشيا	Balthardo
ستيفانو		Stephano
بورشيا	وارثة مثرية	portia
نرسيا	قهرمانتها	Nerissa
جيسيكا	ابنة شايلوك	Jessica

أعيان من البندقية، ضابط دار المحكمة، سبحان، خدم لبورشيا وتبع آخرون

تدور بعض حوادث هذه المسرحية فى مدينة البندقية وبعضها الآخر فى بلمونت مقر إقامة بورشيا فى أرض البر الإيطالى.

obeikandl.com

الفصل الأول

المنظر الأول

شارع فى البندقية

(يدخل أنطونيو وسالارينو وسولانيو)

أنطونيو: لست أدرى على وجه اليقين سبب حزني، وإن كان الحزن يصيبنى [٣٩] وأنتما تقولان إن يضنيكما، ولكننى لا أدرى كيف ألم [٤٠] الحزن بي، أو كيف صادفته، ومن أى شيء صيغ، ومن أى شىء يولد؟ هذا لابد لى أن أعرفه! لقد سلبنى هذا الحزن عقلى، حتى ليشق على أن أعرف نفسى.

مالارينو: إن عقلك يتخبط [٤١] هناك فى المحيط، حيث تتخطر [٤٢] فوق العباب سفائنك الضخمة الشراع، تخطر السادة الأثرياء فوق أديم [٤٣] الأرض، أو كأنها معارض [٤٤] سابحة فوق البحار. تشرف من علُ على السفن الصغيرة، وتمر بها مسرعة مزهوة بأجنحتها المنسوجة، فتحييها تلك السفن الصغيرة بمراسم التجلة والاحترام.

سولانيو: صدقنى يا سيدى، لو أنى جازفت بمالى مثل هذه المجازفة لانحصر كل تفكيرى واهتمامى مع آمالى فى خارج البلاد، ولما انقطعت عن

---

(٣٩) يضنيني: يتعبنى يقال أضناه المرض أى أثقله وأهزله.

(٤٠) ألم: أصاب.

(٤١) يتخبط: يقصد هنا يضطرب. وأصله: تخبطه الشيطان إذا مسه بخيل وجنون.

(٤٢) تتخطر: تتهادى وتسبح.

(٤٣) أديم الأرض: وجهها وسطها.

(٤٤) فى الأصل peagents = ويقصد بها عربات معينة كانت عليها مسارح متنقلة معروفة فى العصور الوسطى.

openkanal.com

انتزاع الأعشاب لأستنبئها [٤٥] من أين تهب الرياح ولذهبت أتأمل المصورات [٤٦] باحثًا فيها عن المرافئ والأرصفة والمراسي، فإذا وقع فى نفسى أن سوء الطالع سوف يحيق بتجارتي، فلا شك أن ذلك الخاطر يملؤنى حزنًا.

سالارينو: بل إن أنفاسى التى تبرد حسائى لتبعث القشعريرة فى جسمى إذا تمثلت فى خاطرى الأضرار الهائلة التى تحدثها الرياح إذا هبت على سطح البحر، وإذا نظرت إلى الساعة الرملية تذكرت المياه الضحلة [٤٧] والسهول الرملية، وتخليتُ سفينتى "آندرو" ذات الحمولة الثمينة وقد جنحت [٤٨] فوق الرمال وهبط صاريها العالى إلى ما دون غاطسها، لكى تقبل قبرها ولا أقصد الكنيسة وأشاهد صرحها الحجرى المقدس إلا تذكرت من فورى تلك الصخور الخطرة التى إذا لمست جانب سفينتى المحبوبة، بعثرت كل توابلها [٤٩] فى اليمِّ وجعلت حريرى دِثارًا [٥٠] للمياه ذات الزئير، [٥١] وقصارى القول أنى أستحيلُ فى غمضة عين من رجل ثرى إلى إنسان مسكين، أفأستطيع أن أفكر فى هذا، ثم لا أخشى أن يحدث شيء مما فكرت فيه فأحزن له؟ لا تحدثنى عن سر حزنه، فأنا أعرف أن الذى يحزنه هو التفكير فى تجارته.

أنطونيو: صدقانى إذا قلت: لا وإنى لأشكر حسن طالعى، فليست بضائعى كلها موسوقة فى مركب واحد، ولا هى قاصدة إلى مكان واحد، كما أننى لم

---

(٤٥) أستنبئها: أستخبرها.

(٤٦) المصورات: الخرائط الجغرافية.

(٤٧) الضحلة: القليلة.

(٤٨) جنحت: مالت

(٤٩) التوابل: ما يطيب بها الطعام كالفلفل والكمون.

(٥٠) الدثار: الثوب الذى يستدفأ به أو ما يتغطى به النائم ، ويقصد به هنا الغطاء.

(٥١) الزئير: صوت الأسد، والمقصود به هنا صوت الأمواج العنيفة.

obeikandi.com

أرصد، [٥٢] كل ثروتى فى تجارتى هذا العام؛ ومن ثم فإن تجارتى ليست سبب حزنى.

سولانيو: إذن فأنت تحب.

أنطونيو: لا لا!

سولانيو: ولست محبًا أيضًا؟ إذن فدعنا نقول إنك حزين لأنك لست مرحًا، فإذا كان هذا شأنك فإنك ليسهل عليك أن تضحك وتقفز فى الهواء وتقول إنك مرح، لأنك لست حزينًا، قسمًا بجانوس ذى الرأسين [٥٣] لقد صورت الطبيعة من بدء الخليقة أشخاصًا غريبى الأطوار، أناسًا ينظرون بعيونهم خلسة، ويضحكون على الزمار بملء أفواههم كما تضحك الببغوات، وآخرين مكتئبين، حتى ليستحيل على شفاههم أن تنفرج عن أسنانهم فى محاولة للابتسام، لدى سماع نكتة، وإن أقسم نسطور [٥٤] أنها جدُ مضحكة. (يدخل بسانيو ولورنزو جراتيانو)

سولانيو: ها هو ذا بسانيو، أنبل أقاربك، قادم، وبرفقته جراتيانو ولورنزو، فإلى الملتقى، ولندعك الآن لصحبةٍ أفضل.

سالارينو: وددتُ لو أبقى حتى أجعلك تغدو مَرِحًا، لولا أن منعنى من ذلك قدوم أصدقاء أكرم منى.

أنطونيو: إنكما لأثيران [٥٥] عندى، وأعتقد أن عملكما هو الذى يدعوكما إلى الانصراف، فانتهزتما هذه الفرصة للرحيل.

سالارينو: يا سادتى الأماثل، [٥٦] طاب صباحكم.

---

(٥٢) أرصد: المقصود هنا أضع.

(٥٣) جانوس: مثلته الأساطير حارس بابى السماء، وقد صور دائمًا برأسين أو بوجهان يواجه كل منهما أحد هذين البابين وكان له وجه باسم والآخر حزين.

(٥٤) نسطور: ملك بيلوس الشديد التزمت وكان مشهورًا عند الإغريق بحكمته وحصافته.

(٥٥) أثيران: مفضلان.

(٥٦) الأماثل: الأفاضل.

بسانيو: أيها السيدان الماجدان، متى نسمر ونضحك؟ قولا متى؟ لقد قصرت إقامتكم معنا إلى أبعد حد، أفيجب أن نكون كذلك؟

سالارينو: سنحاول أن نوفق بين أوقات فراغنا وأوقات فراغكم. (يخرج سالارينو وسولانيو)

لورنزو: الآن وقد وجدت أنطونيو يا سيدى بسانيو، فسندعكما وحدكما، ولكننى أرجوك إذا حان وقت العشاء، أن تذكر، أين اتفقنا على اللقاء.

بسانيو: لن أخلف موعدى معكم.

جراتيانو: لست تبدو فى صحة طيبة يا سيد أنطونيو، وإنك لشديد العناية بأمور الدنيا، ولعمرى [٥٧] إن الذين يشترونها بكثير من الاهتمام والحذر، لهم الذى يخسرونها، صدقنى إذا قلت لك إنك تغيرت كثيرًا.

أنطونيو: إنما أنظر إلى الدنيا النظرة التى تستأهلها يا جراتيانو، هى مسرح يمثل عليه كل امرئ دوره، ودورى دور حزين.

جراتيانو: ليكن دورى أن دور المهرج الضحوك، فلكم أود أن تعلو جبينى غضون [٥٨] السنين بين الضحك والسرور، ولأفضل عندى أن تحرق الخمر كبدي، من أن يبرد قلبى من فرط الأنين [٥٩] المميت، ولم يعمد الرجل الذى يتدفق الدم بالدفء فى كيانه، إلى اتخاذ جلسة يحاكى بها تمثالا لجده من المرمر؟ ينام وهو مستيقظ، ويزحف إلى اليرقان [٦٠] نتيجة لكآبته المريرة؟ إنى أسوق إليك هذا الحديث يا أنطونيو، لأنى أحبك، وحبى هو الذى يتحدث إليك – إن فى الناس فريقًا وجوههم مقنعة عليها غطاء كالزبد فوق ماء البركة الآسن [٦١] يلتزمون الصمت عامدين، كى يوهموا الناس أنهم ذوو حكمة ووقار، وكى يعرفوا بعمق التفكير، وكأن

---

(٥٧) لعمري: قسمى.

(٥٨) الغضون: التجاعيد.

(٥٩) الأنين: التأوه وصت الألم.

(٦٠) اليرقان: مرضى الصفراء

(٦١) الآسن: المتغير لا يشرب الراكد كالمستنقعات.

obeikandl.com

لسان حال كل منهم يقول: "أنا رب الحكمة، فإذا انفرجت شفتاى، فليكف كل كلب عن النباح"! آه يا أنطونيو العزيز، إنى لأعرف من الناس من اشتهروا بالحكمة لا لشيء إلا لأنهم لا يقولون شيئًا، ولست أشك فى أنهم لو تكلموا لآذوا أسماع أخوانهم، ولوصفوهم بالجنون، سأحدثك عن هذا حديثًا أوفى فى وقت آخر، ولكن، إياك أن تحاول كسب آراء البلهاء بهذا المظهر الحزين، هلم يا لورنزو الطيب، وإلى الملتقى يا أنطونيو بعد قليل. وسأختم نصائحى بعد العشاء.

لورنزو: إذا فسنترككما حتى موعد العشاء، إنى بلا ريب واحد من أولئك البكم الحكماء لأن جراتيانو لا يتح لى أبدًا فرصة للكلام.

جراتيانو: لو أنك صاحبتنى عامين آخرين، لاستعصى عليك من بعدهما تمييز صوتك.

أنطونيو: إلى الملتقى سأصبح ثرثارًا فى هذا الأمر.

جراتيانو: شكرً لك حقًا، فالصمت لا يحمد إلا من لسان الثور المجفف أو من الحسناء التى لا يُشترى حبُها. (ينصرف جارتيانو ولورنزو)

أنطونيو: أفتعنى هذه الألفاظ شيئًا؟

بسانيو: إن ما فى حديث جراتيانو من هراء لأكثر مما فى حديث أى رجل آخر فى البندقية كلها. وإن ما فى حديثه من معنى لأشبه بحبتين من القمح فى كيسين من التين، لا مناص من أن تبحث يومًا بطوله قبل أن تهتدى إليهما، فإذا أنت عثرت عليهما ألفيت أنهما غير جديرتين بالعناء.

أنطونيو: حسنًا، إذن حدثنى الآن، من تراها تلك السيدة التى أقسمت أن تحج إلى حماها خفية، والتى وعدتنى بالحديث عنها اليوم؟

بسانيو: لست تجهل يا أنطونيو كيف أثقلت ثروتى بالديون نتيجة لظهورى بمظهر فخم لا أستطيع أن أدوام عليه بدخلى الشحيح، ولست أبكى الآن إشفاقًا من نزولى عن هذه الدرجة العالية، وإنما همى الأول هو أن أوفي، بأمانة وشرف، بديونى الباهظة التى ورطنى فيها شيء من الإسراف فى عهد الشباب. وإنى لمدين لك يا أنطونيو بأكبر قسط: من

openkandil.com

المال والحب جميعًا، ولقد أكد لى حبك أن من الخير لى أن أفضى إليك بكل الوسائل التى سألجأ إليها للوفاء بديونى جميعًا.

أنطونيو: أتوسل إليك يا عزيزى بسانيو أن تحيطنى خبرًا بمبتغاك، فإن كان هذا المبتغى شريفًا – وأنت الرجل الشريف على الدوام – فستجدنى تحت تصرفك: مالى وشخصى وكل ما أملك.

بسانيو: ما زلتُ أذكر من عهد التلمذة أننى كنت إذا رميتُ سهمًا ففقدت أثره، عمدت إلى مثله فرميته فى اتجاهه نفسه، وراقبت سيره بعناية لأبحث به عن سابقه، وكثيرًا ما كنت أهتدى إلى السهمين بمخاطرتى بهما جميعًا، ولقد عرضت عليك هذا الدليل من ذكريات الطفولة، لأن ما سأذكره ليس إلا صورة من تلك السذاجة البريئة إنى مدين لك بالشيء الكثير، ولقد خسرتُ كل ما استدنته منك كما يفعل الشاب الغر، ولكن إذا رأيت أن تصوب سهمًا آخر، فى الاتجاه نفسه الذى صوَّبتَ نحوه سهمك الأول، فلست أشك بفضل مراقبتى الهدف أنك إما أن تعثر على المسهمين جميعًا، أو تستعيد ما خاطرت به فى المرة الثانية، وأظل أنا مدينًا لك بأولهما وشاكرًا.

أنطونيو: أنت تعرفنى تمام المعرفة، فلم تضيع الوقت فى هذا اللف والدوران حول محبتي، ولا شك فى أنك تُسيء إلى بتشككك فى أنى سوف أبذل كل ما أستطيع، أكثر مما تسيء إلى لو أنك أفقدتنى كل ما أملك: إذًا، فما عليك إلا أن تقول لى ما ينبغى علىَّ إن أفعل، وما تعرف أنت أن فى وسعى أن أفعله، وسترانى جدَّ مستعدّ لإنجازه تكلم!

بسانيو: فى بلمونت سيده وارثة ثرية، وهى حسناء، وتتمتع بما هو أحسن من الحسن، وهو الفضائل النادرة، لقد بعثت إلى عيناها رسائل حب صامتة فى بعض الأحيان، اسمها بورشيا وهى ليست فى كل شيء ما أقل شأنًا من سميتها ابنة كاتو [٦٢] وحليلة بروتس [٦٣] كما أن الدنيا كلها لا

---

(٦٢) كاتو: كان زعيم المحافظين من النبلاء. أيام يوليوس قيصر، وكان يعارضه معارضة عنيفة.

(٦٣) بروتس: كان قاضيًا وعضوًا فى مجلس الأعيان، وهو أحد المتآمرين الذين اشتركوا فى اغتيال يوليوس قيصر، وكان زوجًا لبروشيا ابنة كاتو التى كانت من أجمل نساء عصرها.

تجهل قيمتها، لأن الخطاب البارزين تأتى بهم إليها الرياح الأربع من كل شاطئ، وغدائرها الصفراء تتهدل على صدغيها كضفائر الذهب، وهذا ما جعل قصرها فى بلمونت كساحل كولشوس،[٦٤] ودفع كثيرين من نظائر جيسن إلى القدوم طالبين يدها، فيا عزيزى أنطونيو لو أن لى من الوسائل ما يجعلنى أقف موقف المنافس لأحدهم، فإن خاطرًا يوحى إلى بأننى سأكون – دون منازع – السعيد المجدود [٦٥].

أنطونيو: أنك لتعرف أن كل ثروتى فى عرض البحار، وليس لدى مال ولا بضائع أستطيع بها تقديم المبلغ المطلوب إليك فى التو، لذلك توجه إلى البندقية، وحاول أن تستدين أقصى ما يمكن أن تستدينه بضمانتى. ولن أمنع عنك أقصى ما أستطيع بذله حتى تتمكن من الذهاب إلى بلمونت، وإلى بروشيا الحسناء. اذهب لتوك وابحث عمن عنده مال، وسأفعل أنا مثل فعلك، ولا شك فى أنك ستنال أربك، إما لثقة الناس بى أو لحبهم إياى.

(يخرجان)

---

(٦٤) علقت الجُزّة الذهبية فى أكمة مارس فى كلشوس colchis فى طرف البحر الأسود وكان يحرسها تنين، وجاء فى الأساطير أن جيسن Jason وعددًا من أبطال عصره بمساعدة ميديا ابنة ملك كولشوس تمكن من العودة ظافرًا بتلك الجُزّة الذهبية.

(٦٥) المجدود: المحظوظ.

obeikandl.com

الفصل الأول

المنظر الثانى

بلمونت – غرفة فى منزل بورشيا

(تدخل بروشيا ونريسا)

بورشيا: الحق أقول لك يا نريسا، إن جسدى الضئيل قد أضناه هذا العالم الكبير.

نريسا: لعل هذا يكون صحيحًا يا سيدتى الحسناء لو تعادل شقاؤك مع حسن طالعك، بيد أننى تبينتُ أن هنالك مرضَى آذتهم التُّخمة، وآخرون أضناهم الجوع والحرمان. ولا شك أن فى الاعتدال سعادة أيمًا سعادة. وأما الإغراق [٦٦] فى الترف فسرعان ما يجلب المشيب، فى حين يطول العمر مع القليل الكافى.

بورشيا: تلك أمثال أجدت النطق بها.

نريسا: وهى تكون أفضل لو أحسن ابتاعها.

بوريشا: لو أن فِعلَ الأمرِ الحسنِ كان يسيرًا كمعرفته إذا لحلت المعابد البسيطة محل الكنائس الفخمة، ولأضحت أكواخ الفقراء قصورًا للأمراء، ولا شك فى أن الواعظ الطيب هو الذى يتبع ما يوصى الناس به؛ بيد أنه من الأيسر لدى أن أرشد عشرين شخصًا إلى الخير الذى ينبغى لهم أن يفعلوه، من أن أكون أنا أحد هؤلاء العشرين فأتبع نصائحى وقد يتاح [٦٧] للذهنى وضعُ قواعدَ للسيطرة على الجسم، بيد أن مزاجًا حارًا قد يتمرد على القانون البارد؛ وإن نزّقَ [٦٨] الشباب وجنونه ليدفعانه إلى

---

(٦٦) الإغراق: مجاوزة الحد.

(٦٧) يتاح: يقدر ويهيأ.

(٦٨) النزق: الخفة والطيش.

obeikandl.com

تخطى العوائق التى يضعها الناصحون الشيوخ فى طريقه ليحدوا بها من طيشه، بيد أن هذه العِظات لن تعيننى على أن أختار لى زوجًا. تبًا [٦٩] لكلمة الاختيار هذه! فأنا لا أستطيع اختيار من أود ولا رفض من أبغض، وهكذا تقيد مشيئة ابنة حية، وصية والد ميت، أفليس شاقًا على يا نريسا ألا أستطيع اختيار أحدٍ أو رفض أحد.

نريسا: لقد كان أبوك طوال عمره رجلا فاضلا، والصالحون عندما تحين مَنيتهم [٧٠] يُلهمون الخير، ومن ثم فإن الطريقة التى أعدَّها فى هذه الصناديق الثلاثة: الذهبى، والفضى، والرصاصى، والتى جعل من يصادفه الحظ باختيار مراده منها، ينالك زوجًا له، تجعل من يهتدى إلى الاختيار الصحيح هو وحده الذى يحبك صادقًا، ولكن أى حب سَرَى فى قبلك لأى من هؤلاء الخطاب الأمراء الذين قَدموا فعلا؟

بورشيا: أرجوكِ أن تعيدى على أسماءهم، فإذا أعدتها وصفتهم لك، وسيكشف لك هذا الوصف عن ميولى نحوهم.

نريسا: أذكر أولا أمير نابلى.

بورشيا: آه يا له من غلام طائش! إنه لا يحسن شيئًا سوى التحدث عن جواده، ويتخذ من قدرته على حذوه دليلاً على رفعة شأنه [٧١] ويبدو أن أمه ولدته من حداد.

نريسا: ويليه حاكم المقاطعة.

بورشيا: إنه لا يفعل شيئًا سوى التجهم [٧٢] وكأن لسان حاله يقول: "إذا لم تختاريني، فلا يهمنى أن تختارى من تشائين" وهو يستمع إلى القصص المرحة ولا يبتسم، وإنى لأخشى أن يصبح – إذا تقدم به العمر – هو

---

(٦٩) تبًا له: خسرانًا وهلاكًا.

(٧٠) المنية: الموت.

(٧١) معنى الجملة أنه يتباهى بأنه ينعل جواده بيده.

(٧٢) التجهم: عبوس الوجه.

obeikandl.com

الفيلسوف الباكى [٧٣] لأنه فى شبابه مفعم القلب بالحزن، إنى لأوثر أن أبنى [٧٤] برأس ميت فى فمه عظم على أن أتزوج بأحدهما. أسال الله أن ينجينى من هذين.

نريسا: وماذا تقولين عن النبيل الفرنسى السيد ليبون؟

بورشيا: إنه من خلق الله، ومن ثم فلا مناص لنا من أن نسلكه فى الرجال، والحق أنى أعلم أن التهكم خطيئة، أما بالنسبة إليه فإن جواده أفضل من جواد النابلي، وهو أشد تجهمًا من الكونت البالاتى، هو كل الرجل ولا رجل على الإطلاق، ولو أن شحرورًا تغنى لرقص من فوره طربًا، ولو لاح له خياله لبارزه، ولو تزوجت منه لتزوجت من عشرين بعلا، وإنى لأغفر له إذا احتقرني، لأنه إذا أحبنى حتى الجنون ما استطعت أن أجاريه فى هذا المّدى.

نريسا: فما قولك إذن فى فالكونبريدج، ذلك البارون الإنجليزى الشاب؟

بورشيا: تعلمين أنن لا أستطيع أن أقول عنه شيئًا، لأنه يفهمنى، لأنى لا أفهمه؛ فهو لا يعرف اللاتينية ولا الفرنسية، ولا حتى الإيطالية، وأما عن إنجليزيتى ففى وسعك أن تقسمى غير حانثة وفى حرم القضاء أنها هزيلة تافهة إنه فى مظهره صورة للرجل كما يجب أن يكون، ولكن وا أسفاه، من ذا الذى يستطيع التحدث إلى دمية؟ وبالغرابة زيه! أحسبه قد ابتاع صداره من إيطاليا وسراويله المنتفخة من فرنسا، وقبعته من ألمانيا واقتبس سلوكه وتصرفاته من كل البلدان.

نريسا: وما رأيك فى جاره اللورد الإسكتلندى؟

بورشيا: إن صدره لينطوى على عاطفة الإحسان لجاره، أفلم يكل له الإنجليزى لكمه على أذنه، ثم أقسم ليسدن إليه مثلها متى وسعه ذلك؟ وظنى أن

---

(٧٣) يشير إلى هرقليطس الأفسوسى الذى عاش حوالى عام ٥٣٥ – ٤٧٥ ق. م والذى أطلق عليه هذا الاسم كما أطلق اسم الفيلسوف الضاحك على دمقريطس الأبدرى (حوالى عام ٤٦٠ ق. م) من مزاج مرح.

(٧٤) أبني: أتزوج.

openkanal.com

الفرنسى كان قد تلقى من الإنجليزى مثل تلك اللكمة وآلى[٧٥] على نفسه، كالإسكتلندى أن يردها! [٧٦]

نريسا: وكيف ترين الألمانى الشاب، ابن شقيق دوق ساكسونى؟

بوريشا: رذل جدًا فى الصباح، وهو لا يزال مالكًا زمام عقلهن وأشد رذالة بعد الظهر وهو ثمل، وهو فى أفضل حالاته أسوأ قليلاً من الآدميين، وهو فى أسوئها لا يكاد يفضل الوحش، وإذا ما وقع أسوأ ما يمكن أن يقع فإنى أرجو أن أتمكن من الاستغناء عنه.

نريسا: ولو أنه عرض أن يختار، واختار الصندوق الرابع، ثم رفضته زوجًا لخالفت بذلك وصية أبيك.

بورشيا: إذن فمخافة أن تتحقق أسوأ الاحتمالات أرجوك أن تضعى زجاجة كبيرة من نبيذ الراين على أحد الصناديق غير الرابحة، فإنى واثقة من أنه سيختار، ولو كان الشيطان فى داخله، وهذا الإغراء فى خارجه، أجل؛ سأصنع أى شيء يا نريسا، ولا أتزوج من إسفنج.

نريسا: لا تخشى أن تصيرى زوجة لأحد هؤلاء السادة، فقد عرفت منهم ما اعتزموه، فهم سيعودون إلى ديارهم ولا يضايقونك من بعد بخطبتهم، إلا إذا كانت هنالك وسيلة أخرى للظفر بك غير ما قَضت به وصية والدك من الاقتراع على الصناديق.

بورشيا: ولو امتد بى الأجل حتى صرت فى مثل عمر سبيلا [٧٧] إذن لمت عذراء مثل ديانا [٧٨] إلا إذا ظفر بى من ظفر على النحو الذى نصت عليه وصية أبي، لشد ما يسرنى أن هذه الحفنة من الخطاب قد أوتوا

---

(٧٥) آلي: أقسم وحلف.

(٧٦) يشير شكسبير إلى الوعود المتصلة من جانب فرنسا بمد يد المعونة للإستكلنديين فى كفاحهم الوطنى ضد الإنجليز.

(٧٧) سبيلا: اسم لعدد من المتنبئات أشهرهن متنبئة كوميا وهى المقصودة هنا.

(٧٨) ديانا: هى ابنة الإلة جويتر كما تروى الأساطير وقد أوصاها أبوها بعد الزواج، وجعلها ملكة على الغابات والحراج، وكان أكتيون قد باغتها وهى فى الحمام، فأطلقت عليه كلابها فافترسته، وتروى الأساطير أنها كانت مغرمة بأورويون.

هذا القدر من العقل، فليس بينهم واحد لا أرجو من صميم قلبى أن يرحل، وإنى لأبتهل إلى الله أن يجعل رحلتهم طيبة.

نريسا: أفلا تذكرين يا سيدتى، فى عهد والدك، شابًا من أهل البندقية أديبًا وجنديًا قدم إلينا فى رفقة الماركيز مونت فيرا؟

بورشيا: نعم.. نعم أحسبه كان يدعى بسانيو.

نريسا: تمامًا يا سيدتى، وهو – من بين كل الرجل الذين وقعت عليهم عيناى الحقيرتان – أجدر الجميع بسيدة حسناء.

بورشيا: إنى لأذكره جيدًا، وأذكر أنه خليق بثنائك (يدخل أحد الخدم) والآن ماذا تحمل من الأنباء؟

الخادم: إن الأربعة الأغراب يستأذنونك يا مولاتى فى الرحيل وثمة رسول من قبل خامس هو أمير مراكش، يحمل رسالة فحواها أن سيده الأمير سيكون هنا الليلة [٧٩]

بورشيا: لو كان فى وسعى أن أستقبل الخامس بفرحة توازى بهجتى بتوديع الأربعة الآخرين إذًا لسرنى مقدمه؛ أما إذا كانت له أخلاق كالقديسين، وكان قبيح الملامح كالشياطين، فإنى أوثر أن يكون القس الذى اعترف له على أن يكون الرجل الذى أقترن به، هيا بنا يا نريسا (للخادم) ولتتقدمنا أنت. إننا لا نكاد نغلق بابًا دون خاطب، حتى يتقدم إلينا من يقرعه! (تخرجان)

---

(٧٩) لقد ذكر ستة من هؤلاء الخطاب لا أربعة، ويظن هنتر أن منشأ الخطأ أنهم لم يكونوا فى بادئ الأمر أكثر من أربعة، وأن شكسبير أضاف إليهم فيما بعد وهو يراجع الرواية النبيلين الإنجليزى والأسكتلندى ليرضى بذلك النظارة.

obeikandl.com

الفصل الأول

المنظر الثالث

البندقية – أحد الميادين

(يدخل بسانيو وشايلوك)

شايلوك: ثلاثة آلاف دوقية [٨٠] حسن.

بسانيو: نعم يا سيدي، ولثلاثة أشهر.

شايلوك: لثلاثة أشهر، حسن.

بسانيو: وكما قلت لك، سيكون أنطونيو ضامنًا وملزمًا بأدائها.

شايلوك: وأنطونيو مرتبط وملزم بالأداء، حسن.

بسانيو: أفى وسعك مساعدتى؟ وهل تدخل السرور على نفسي؟ هل أستطيع أن أعرف ما تجيب به؟

شايلوك: ثلاثة آلاف دوقية، لثلاثة أشهر، وأنطونيو ضامنها.

بسانيو: وما جوابك عن ذلك؟

شايلوك: أنطونيو كفيل جيد!

بسانيو: أو سمعت ما يناقض هذا!

شايلوك: لا، لا، لا، ما عنيته بقولى إنه كفيل جيد، هو أن أفهمك أنه موثوق بـه، ولكـن أمواله موضـع الحـدس والتخمـين، فلـه سـفينة تـيمم وشـطر طرابلس، وأخرى صوب [٨١] الهند، وفضـلا عن ذلك علمت فى الريالتو

---

(٨٠) الدوقية عملة قديمة عرفت فى البندقية وكان يضربها الدوق أميرها.

(٨١) الصوب: الجهة.

obeikandi.com

[٨٢] أن له سفينة ثالثة فى مياه المكسيك، ورابعة تتجه صوب إنجلترا، كما سمعت عن سفن أخرى له متفرقة فى البحار، بيد أن السفن ليست إلا خشبًا، وما الملاحون إلا بشر وثمة جرذان فى البر وجرذان فى البحر، ولصوص البر ولصوص البحر، وأعنى بهؤلاء القراصنة، ودعك من مخاطر الأمواه والرياح والصخور، غير أن الرجل برغم ذلك حقيق [٨٣] بضمان المبلغ: ثلاثة آلاف دوقية، أحسب أنى مستطيع قبول صكه.

بسانيو: لا ريب أنك مستطيع ذلك.

شايلوك: سأبحث الأمر حتى أتأكد من استطاعتى، ولكى أتأكد من ذلك سأفكر فى الأمر مليًا، ثم هل لى أن أتحدث إلى أنطونيو؟

بسانيو: أفيسرك أن تتعشى معنا؟

شايلوك: نعم، لأشم رائحة الخنزير، لأطعم من اللحم الذى جعله نبيكم الناصرى للشيطان سكنًا [٨٤]؟ لا.. إنى أشترى منكم وأبيع لكم وأتحدث معكم، وأسير معكم، بيد أننى لن آكل معكم، أو أشرب معكم، أو أصلى معكم،.. ما هى أنباء التجارة فى الريالتو؟ ومن القادم إلينا؟ (يدخل أنطونيو)

بسانيو: هذا هو السيد أنطونيو.

شايلوك: (لنفسه) ما أشبهه بالعشار الذليل! إنى لأمقته لأنه مسيحي، ويشتد مقتى له، لأنه – بسذاجته الخرقاء – يقرض المال بدون فائدة، ومن ثم يعمل على الهبوط بسعر الفائدة عندنا فى البندقية، فلو أننى تمكنت من يومًا، إذن لشفيت منه أحقادى القديمة، إنه يبغض أمتنا المقدسة ويعيرنى – حتى فى ذلك المكان الذى هو أكثر الأمكنة ازدحامًا بالتجارة

---

(٨٢) الريالتو هو مجمع التجار فى مدينة البندقية وهو أشبه بالبورصة فى أيامنا هذه.

(٨٣) حقيق بالأمر: جدير به.

(٨٤) إشارة إلى لوقا ٨ – ٣٢/ ٣٣ حيث يروى كيف طرد السيد المسيح الشياطين من الناس ليسجنها فى جوف الخنازير.

openkandil.com

بما جمعته بصفقاتى وأموالى الحلال التى جمعتها بكدى- وبصفها هو بأنها ربًا. ألا لعنة الله على قومى إذا أنا غفرت ذلك له!

بسانيو: أو تسمعنى يا شايلوك؟

شايلوك: إنى أحسب ما لدى من مال حاضر، وأحب – إذا لم تحنى ذاكرتى – أننى غير مستطيع تقديم ثلاثة آلاف دوقية كاملة من فوري، ولكن هذا ليس أمرًا ذا بال... إن توبال سيمدنى بالمال، وهو من أثرياء قومى العبرانيين ولكن مهلا فى كم شهر تريد رد المال؟ (إلى أنطونيو) طاب وقتك يا سيدى الكريم، لقد كنت أيها السيد آخر من نتحدث عنه.

أنطونيو: شايلوك، ليس من دأبى أن أقرض المال أو أقترضه بربح، آخذ الربا أو أعطيه، ولكنى سأتجاوز عن مألوف عادتى لأحقق مطالب صديقى العاجلة (إلى بسانيو) أفيعلم كم تطلب؟

شايلوك: نعم، نعم، ثلاثة آلاف دوقية.

أنطونيو: ولثلاثة أشهر.

شايلوك: لقد نسيت، إنه لثلاثة أشهر، لقد قلت لى ذلك حسن إذن هات صكك ودعنى أفكر، ولكن استمع إلى، أحسبك قلت إنك لا تقرض ولا تقترض بفائدة.

أنطونيو: لا أفعل ذلك مطلقًا.

شايلوك: عندما كان يعقوب يرعى غنم عمه لابان – ولقد كان يعقوب هذا ثالث من ورث مملكات سيدنا إبراهيم، نعم، كان هو الثالث وذلك بفضل دهاء أمه الحكيمة (٨٥)..

أنطونيو: وما شأنه هنا؟ أو كان يقرض بالربا؟

شايلوك: كلا، لم يتقاض أيه فائدة، لم يتقاض ما يمكن أن يسميه فائدة صريحة... إليك ما كان يفعله يعقوب، إنه لما تعاقد مع لابان على أن

---

(٨٥) كان ينبغى أن يكون التسلسل الوراثى على النحو التالى: الأول إبراهيم الثانى إسحق ابنه، والثالث عيسو، أكبر أنجال إسحق، ولكن هذا اضطر تحت وطأة الجوع إلى أن يبيع حقوقه الوراثية ليعقوب نظير ظفره ببعض الطعام، ويعود الفضل إلى رفقه والدة يعقوب فى تحقيق هذه الصفقة سفر التكوين ٢٥- ٢٧/ ٣٤.

obeikandl.com

تكون الخراف ذات اللونين الحديثة الولادة أجرًا ليعقوب، عمد الراعى اللبيب إلى بضعة أغصان فعراها من قشرها ونصبها فى طريق النعاج الولود فلما حملت توحمت عليها [٨٦] وحل موعد الوضع جاءت بحملان رقطاء بلقاء، وكانت هذه من نصيب يعقوب، تلك كانت إحدى وسائل تنمية الثروة، ولقد بورك له فيها، ولا ريب فى أن تمنيته الثروة نعمة مباركة على شريطة ألا يسرقها الناس.

أنطونيو: لقد كانت هذه يا سيدى صفقة عقدها يعقوب نظير خدمته، وإنها لشىء فوق قوه هو، هيأتها له العناية الإلهية... هل ضربت هذا المثل لكى تقول إن الربا حق؟ أو هل ذهبك وفضتك نعاج وخراف؟

شايلوك: لست أدرى، غير أننى أنمى ذهبى وفضتى بمثل هذه السرعة ولكن اصغ إلى يا سيدى.

أنطونيو: استمع إلى هذا القول يا بسانيو، إن فى وسع هذا الشيطان أن يستشهد بالكتاب المقدس تأييدًا لمآربه. وإن نفسًا شريرة تسرد الشواهد المقدسة، لشبيه بشرير ذى وجه مبتسم، أو كأنها تفاحة جميلة المنظر، ولكن متعفنة فى الصميم، ألا ما أجمل الطلاء الخارجى للزور والبهتان!

شايلوك: ثلاثة آلاف دوقية، يا له من مبلغ طيب دسم! لثلاثة أشهر من اثنى عشر شهرًا. إذن، لأتدبر الأمر، وما الفائدة؟

أنطونيو: حسن يا شيلوك، أنعتمد عليك؟

شايلوك: يا سيدى أنطونيو، كم من مرة قابلتنى فى الريالتو فسخرت منى بسبب أموالى وكيفية استخدامى لها، وكنت على الدوام أقابل تلك السخرية بأن أهز كتفى فى صبر وتجلد، ذلك أن الصبر هو شعار أمتنا على بكرة أبيها، إنك تدعونى كافرًا، وكلبًا مسعورًا، وتبصق على عباءتى اليهودية، وما ذلك كله إلا لأنى أستثمر مالى وهوى ملكي، هذا ما فعلت والآن يبدو أنك فى حاجة إلى عوني، ها أنت ذا تأتى إلى قائلا: "شايلوك، نريد منك مالا" إنك أنت تقول هذا؟ أنت الذى أفرغت بصاقك على

---

(٨٦) سفر التكوين ٣٠ – ٣١/ ٤٣ فى أصل شكسبير القصة تحتل أكثر من هذه الأبيات للتفصيل وتبدو فيها ألفاظ كفيلة بإبراز خصائص نطق اليهود لهذه الألفاظ.

obeikandl.com

لحيتي، وطردتنى من عتبة بيتك ركلا بالقدم، كما لو كنت كلبًا شريدًا.. إن المال هو طلبتك منى! فماذا عساى أن أقول لك؟ أفلا يجدر بى أن أقول: "هل يقتنى الكلب مالا؟" أفى ميسور الكلب أن يقرض ثلاثة آلاف دوقية؟ أو هل أنحنى فى ذلة وانكسار وفى صوت العبد، والمبهور الأنفاس، الهامس فى ذلة أقول: " يا سيدى المنصف، لقد بصقت على يوم الأربعاء الماضى، ونهرتنى وامتهنتنى [٨٧] يومًا آخر، ودعوتنى بالكلب فى يوم غيره، ومن أجل هذا النعم سأقرضك هذا المال الكثير؟".

أنطونيو: وفى ظنى أنى سأنعتك بهذه الصفة مرة أخرى، وأبصق عليك كما فعلت من قبل، وأركلك أيضًا، فإذا شئت أن تقرضنى هذا المال، فلا تقرضنيه، كما لو كنت لك صديقًا، ومتى حصل صديق من صديقه على فائدة نظير إقراضه دراهم معدنية صلبة؟ بل أقرضنا كما لو كنت تقرض عدواً لك، إذا أخل بتعاقده استطعت فى غير حياء أن تقتص منه.

شايلوك: ولم هذا الهياج! انظر كيف يعصف بك الغضب! إنى أود أن أصادقك وأظفر بحدبك، وأن أنسى ما لطختنى به من مهانة، وأن أسد لك مطالبك العاجلة، بدون أن أتقاضى على مالى أقل فائدة، ومع ذلك فأنت لا تصغى إلي، وأنا أتقدم بهذه شفقة منى وعطفًا.

أنطونيو: لو فعلت، لكان هذا هو اللطف بعينه.

شايلوك: سأبرهن لك على صدق هذه العاطفة، اصحبنى إلى محرر العقود، ولتحرر لديه الصك بإمضائك وحدك، وسأطلب إليك على سبيل التسلية والمزاح أن تكتب أنك إذا لم توف فى يوم كذا وفى مكان كذا، بالمبلغ أو المبالغ الموضحة فى الصك، كان الجزاء رطلا بالضبط من لحمك البض أقتطعه وآخذه من الجزء الذى أختاره من بدنك!

أنطونيو: ارتضيتُ، وسأوقع هذا العقد وآخذه، وأقول إن فى قلب اليهودى عطفًا كثيرًا.

بسانيو: لن تبرم مثل هذا العقد من أجلى أبدًا، لخير لى أن أصبر على عوزى.

---

(٨٧) امتهنه: احتقره.

أنطونيو: ولم هذا الوجل [٨٨]؟ لا تخشى شيئًا يا رجل؟ لن أخل بتعاقدى أبدًا، فإنى أتوقع أن تعود إلى فى غضون هذين الشهرين – أى قبل حلول أجل هذا العقد بشهر – ما يعدل تسعة أمثال هذا الصك.

شايلوك: يا أبانا إبراهيم، لقد حرتُ فى أمر هؤلاء المسيحيين الجامدى العواطف، إن معاملتهم القاسية الجافة لتحملهم على إساءة الظن بأفكار غيرهم من الناس، أرجوك أن تخبرنى ماذا عسى أن يعود على من تنفيذ هذا الجزاء إذا لم يوف بالدين فى موعده؟ إن رطلا من اللحم يقتطع من جسم إنسان لهو أقل قيمة،أقل نفعًا من رطل الضأن أو البقر أو الماعز، وأقول له إنى أذهب إلى هذا الحد من الصداقة لأظفر بمودته، فإن قبلتها فبها ونعمت، وإلا فالوداع، وبحق حبى أياك أرجو ألا تسيء فهمى.

أنطونيو: نعم يا شايلوك، سأوقع هذا الصك.

شايلوك: إذن فلنتقابل من فورنا عند محرر العقود، وأملى عليه هذا الصك الظريف وسأتوجه أنها لإحضار الدوقيات على الفور، لألقى نظرة على بيتى فقد تركته فى حراسة قذر دنيء لا يؤمن على شيء وسألحق بكم لساعتى.

أنطونيو: أسرع أيها اليهودى الرقيق. (يخرج شايلوك) سيغدو اليهودى مسيحيًا إنه لعطوف.

بسانيو: لست أرضى عن شروط طيبة يأتى بها عقل شرير.

أنطونيو: هلم بنا: ليس فى هذا ما يبعث على الخوف فستصل سفنى إلى قبل يوم استحقاق الصك بشهر. (يخرجان)

---

(٨٨) الوجل: الخوف والفزع.

obeikandl.com

الفصل الثانى

المنظر الأول

بلمونت – غرفة فى دار بورشيا

(ينفخ فى الأبواق يدخل أمير مراكش وحاشيته وبروشيا وتريسيا وأتباع آخرون)

أمير مراكش: لا تكرهينى من أجل سحنتى، فما هى إلا ظلال ألقتها على وجهى الشمس الساطعة التى أنا جارها حيث نشأت. إيتينى بأجمل إنسان من مواليد الشمال، حيث يندر أن تذيب النيران كسف الجليد، ودعينا نحن الاثنين نفصد دماءنا فى سبيل حبك، ولنثبت أدمه أم دمى أشد احمرارًا، وأقول لك يا سيدتى إن سحنتى هذه قد ألقت الرعب فى قلوب الأبطال، وأقسم بحبك أن أجمل عذارى بلادنا وأعظمهن قدرًا يحبونها كذلك؛ ولن أرضى بتبديل لونى إلا لكى أظفر بحبك يا مليكتى الرقيقة.

بورشيا: ليس كل ما أسترشد به فى اختيارى هو ما تعلنه عينا الفتاة العذراء، هذا إلى أن الاقتراع الذى يقرر مصيرى، يحرمنى حق الاختيار وفق هواى؛ ولولا أن أبى قيدنى بفطنته، وقدر لى أن أصبح زوجة لمن يظفر بى عن هذه السبيل التى حدثتك عنها، لكان لك أيها الأمير الشهير من الفرص للظفر ما لأى قادم ممن توقعت عليهم عيناى حتى الآن.

أمير مراكش: وأنا شاكر لك هذا القول ولهذا أتوسل إليك أن ترشدينى إلى العلب، لأجرب عندها حظى ونصيبى.. وقسمًا بهذا السيف الذى قتلت به الصفوى [٨٩] وحَزَزْتُ به ناصية أمير فارسى انتصر فى ثلاث معارك على السلطان سليمان، إنى لقادر إذا سددت بصرى أن أرد سامى الطرف وهو حسير، وأن أبعث الرعب فى قلب أشجع أهل الأرض طرًا وأن أنتزع الدب الرضيع من ثدى أمه، وأن أسخر من الهزير وهو يزرأ

---

(٨٩) فى الأصل saphy يعنى بها شاه فارس.

obeikandl.com

طلبًا للفريسة... أجل، فى وسعى أن أفعل ذلك كله فى سبيل الظفر بك سيدتى وكلنى وا أسفاه! فلو أن هرقل وليكاس [٩٠] جلسا يلعبان النرد ليعرفا من يكون المُجلى، فربما سددت الأقدار يد أضعفهما، فرمى أكبر الرميتين، وكذلك غلب وربما كان هذا شأنى فقد ينتهى بى الحظ العاثر إلى أن أخسر ما يناله من هو أقل منى جدارة، فأقضى شهيد آلامى.

بورشيا: يجب عليك أن تجرب حظك، فإما أن تمتنع بتاتًا عن الاختيار، وإما أن تقسم قبل الإقدام عليه أنك إذا أخفقت فلن تفاتح من بعد أية سيدة فى شأن الزواج فتر وإذن فى الأمر.

أمير مراكش: لن أتحدث فى أمر الزواج من بعد. هلمى فواجهينى بحظى.

بروشيا: بل هلم إلى العبد أولا؛ فإذا انتهى العشاء واجهت طالعك.

أمير مراكش: إذن فليكن حسن الطالع من نصيبي! فإما أن يجعلنى هذا الاقتراع أسعد الناس، وإما أن يجعلنى أتعسهم حظًا. (تنفخ الأبواق وينصرفون)

---

(٩٠) ليكاس هو خادم هرقل الذى جلب لمولاه الرداء المسموم فتسبب فى مصرعه.

obeikandl.com

الفصل الثانى

المنظر الثانى

شارع فى البندقية

(يدخل لونسلو)

لونسلو: لا شك فى أن ضميرى سيطاوعنى على الفرار من مولاى هذا اليهودي. إن الشيطان الذى يلازمنى لا يفتأ يراودنى هاتفًا: "جوبو، لونسلو جوبو، يالونسلو الطيب، أو يا جوبر الطيب، أو لونسلو جوبو الطيب، اعمل ساقيك وبادر إلى الفرار" بيد أن ضميرى يقول: "حذار أيها الأمين لونسلو، تدبر وترو يا جوبو المخلص، أو يقول كما سبق، أى لونسلو جوبو الأمين النزيه إياك أن تفر، وكن أنبل من أن تنكص على عقبيك" ومع ذلك فإن الشيطان أشجع الشجعان يأمرنى بالرحيل قائلا: "هلم، كن شجاعًا بحق السماء وابعد عن هذا المكان! غير أن ضميرى المعلق حول عنقى قلبى لا يروم عنه حولا، يقول لى فى حكمة متناهية: "يا صديقى الأمين لونسلو، يا بن الرجل الأمين، أو بالأحرى يا بن المرأة الأمينة – لأن والدى فى الحق كان يميل بعض الميل وكانت له نزعة، كان يجب أن يتذوق – ينادنى ضميرى: "لونسلو، لا تتحرك" فى حين يقول الشيطان: "تحرك" فيبادر ضمير قائلا: "بل لا تتحرك" ثم أقول أنا: "الخير ما تنصحنى به يا ضميرى!" وأقول كذلك: "أيها الشيطان الخير ما تنصحنى به!" فإذا أطعت حكم ضميرى وجب على أن أبق مع سيدى اليهودي، وهو شيطان والعياذ بالله، أما إذا فررت من اليهودي، فأكون بذلك قد أطعت حكم الشيطان، وما اليهودى سوى الشيطان نفسه،وأرجو أن تغفروا لى هذا القول – ما من شك فى أن الشيطان هو اليهودى مجسمًا، وبحق ضميرى إن نصيحة الشيطان لأكثر عطفًا ومودة، سأهرب إذًا أيها الشيطان، إن ساقى رهن أمرك لقد اعتزمت الهرب. (يدخل جوبو الشيخ ومعه سلة)

obeikandl.com

جوبو: أرجوك يا سيدى الشاب أن تُرشدنى إلى الطريق المؤدى إلى بيت السيد اليهودى.

لونسلو: (على انفراد) هذا وحق السماء أبي! وهو لا يعرفنى لشدة ضعف بصره، وسأحاول محاورته ومداعبته.

جوبو: أرجوك أيها السيد الشاب أن ترشدنى إلى دار سيدى اليهودى.

لونسلو: متى بلغت المنعطف القادم، فاتجه يمينًا، فإذا انتهيت إلى المنعطف التالى فاتجه يسارًا، حتى إذا وصلت إلى المنعطف الذى بعهده، فلا تتجه يمنة أو يسرة بل تقدم مباشرة صوب دار اليهودى.

جوبو: يا رسل الله! سيكون عثورى على الطريق شاقًا، أفى وسعك أن تخبرنى أن شخصًا يدعى لونسلو، كان يقيم معه، لا يزال مقيمًا معه أو لا؟

لونسلو: أو تتحدث عن السيد لونسلو الشاب؟ (منفردًا) راقبونى الآن وأنا أستدر دموعه – أو تتحدث أنت عن السيد لونسلو الشاب؟

جوبو: كلا يا سيدى ليس هو سيدًا، وإنما عن ابن رجل فقير، ومع ذلك، فإن أباه رجل أمين مدقع الفقر، ولكنه مستور الحال.

لونسلو: حسن، فليكن أبوه ما يكون، فنحن إنما نتحدث عن السيد لونسلو الشاب.

جوبو: أى عن لونسلو صديق سيادتكم يا سيدى؟

لونسلو: ولكن أرجوك إذن أيها الشيخ أن تخبرنى. أمتحدث أنت عن السيد لونسلو الشاب؟

جوبو: عن لونسلو، إذا كان هذا يرضى سيادتكم.

لونسلو: إن أنت تتحدث عن السيد لونسلو، لا تتحدث عن السيد لونسلو يا أبت، ذلك أن السيد الشاب قد جرت عليه المقادير والمنايا وأشباها م الألفاظ الغريبة التى ينطق بها العلماء فمات، أو بعبارة أوضح، ذهب إلى السماء!

جوبو: لا حقق الله فألك! لقد كان الفتى هو سندى وعكازة شيخوختى.

obeikandl.com

لونسلو: أتجد فى مشابهًا لهراوة أو عمود أو عكازة أو دعامة؟ أو تعرفنى يا أبت؟

جوبو: وا أسفاه! لست أعرفك أيها الشاب، غير أنى أرجوك أن تخبرنى عن ولدي، رحمه الله أحى هو أم ميت؟

لونسلو: أو لست تعرفنى يا أبتى؟

جوبو: وا أسفاه يا سيدى! فإن بصرى ضعيف، ولذلك لا أعرفك.

لونسلو: كلا، بكل تأكيد، ولو سلمت عيناك لجاز أن تخفق فى معرفتى. إن الوالد الرشيد هو الذى يعرف ولده. حسن أيها الشيخ. سأسرد عليك أبناء ولدك. امنحنى بركتك أن الحقيقة لابد أن تظهر، وما كان لجريمة قتل أن تظل مختفية أمدًا طويلا، قد يختفى ابن رجل بعض الوقت ولكن الحقيقة سوف تتكشف.

جوبو: أتسمح بالوقوف يا سيدى؛ فإنى واثق من أنك لست ابنى لونسلو.

لونسلو: أرجو ألا نمضى فى هذا العبث، ولكن هلم باركنى فأنا لونسلو ابنك الذى كان، وابنك الذى هو كائن، وابنك الذى سيكون.

جوبو: ما أحسبك ولدى.

لونسلو: لست أدرى كيف أرى هذا؟ ولكننى لونسلو خادم اليهودي، وإنى واثق من أن مارجرى زوجك هى والدتى.

جوبو: حقًا، إنها تدعى مارجرى؛ فإذا كنت أنت لونسلو فلا شك أنك من لحمى ودمي، ياالله! إن لك لحية كثة! لقد نبت فى ذقنك من الشعر أكث مما ينبت فى ذيل دوبين جوداى.

لونسلو: إنه ليبدو إذن أن ذيل دوبين ينمو إلى الوراء! وإنى لواثق من أن شعر ذيله كان آخر مرة رأيته فيها أغزر من شعر وجهى.

جوبو: يا إلهي! لشد ما تغيرت! كيف موقفك من مولاك؟ لقد أحضرت له هدية، فهل أنتما الآن على وفاق؟

لونسو: جدًا جدًا، ولكننى فيما يتصل بي، قد عقدت العزم على الفرار، ولن يهدأ لى بال حتى أجد نفسى بعيدًا عنه إن مولاى هذا يهودى قح،

obeikandl.com

أو تود أن تقدم إليه هدية؟ بل قدم له حبل مشنقة. إنى أكاد أموت جوعًا وأنا فى خدمته، إنه ليسهل عليك أن تعد أصابعك بضلوعى [٩١] إنى لمبتهج بمقدمك يا أبي، ولتقدم هديتك – أكرامًا لى – لسيد يدعى بسانيو، فهو يخلع على خدمه الملابس جديدة، نادرة! فإذا لم يقدر لى أن أخدمه، فسأهيم على وجهى فى بلاد الله. يا لحسن طالعى! هذا هو الرجل قادم، فلتتقدم إليه، يا أبي، وإذا ظللت فى خدمة اليهودى بعد الآن فأصبح أنا يهوديًا ملعونًا! (يدخل بسانيو مع ليوناردو وبعض الأتباع)

بسانيو: فى وسعك صنع ذلك، على أن يتم بسرعة حتى يكون العشاء مهيئًا فى الساعة الخامة على أكثر تقدير. ابعث هذه الرسائل إلى أربابها، ومر بصنع الخلع، واطلب إلى جراتيانو أن يلحق بى فى منزلى على الفور. (يخرد الخادم)

لونسلو: تقدم إليه يا أبى.

جوبو: ليشمل الله سيادتكم برعايته!

بسانيو: لك عظيم الشكر، أتبغى منى شيئًا؟

جوبو: هذا ولدى يا سيدى، إنه ولد فقير..

لونسلو: لست غلامًا فقيرًا يا سيدى، ولكننى خادم اليهودى الثرى، وإنى لأرغب – كما سيوضح والدى –..

جوبو: إنه على حد قوله شديد الحرص على أن يخدم..

لونسلو: قصارى الأمر أننى أخدم اليهود، ولكننى أرغب كما سيشرح والدى..

جوبو: أستأذن سيادتكم فى أن أقول إنه ومولاه قلما يتفقان..

لونسلو: وجملة القول أن عين الحقيقة هى أن اليهودي، قد أساء إلى على النحو الذى سيشرحه واليد الشيخ لسيادتكم...

---

(٩١) يريد بطبيعة الحال أن يقول: تعد ضلوعى بأصابعك.

obeikandl.com

جوبو: إنى أحمل معى بعض يمامات مشوية أريد أن أقدمها لسيادتكم، وأما مطلبى فهو..

لونسلو: وبالاختصار الشديد، إن هذا المطلب يختص بى، كما ستعرفون سيادتكم من حديث هذا الرجل المسن الأمين، وأنا أقول إن والدى هذا – على الرغم من كبر سنه – رجل فقير.

بسانيو: ليتكم أحدكما عن كليكما. ماذا تبغى؟

لونسلو: أن أخدمك يا سيدى.

جوبو: ذلك هو لب الموضوع يا سيدى.

بسانيو: إنى لأعرفك جيدًا، لقد حققت لك ما ترجو، لقد حدثنى عنك اليوم سيدك وقدمك لى، إذا صح أن التخلى عن خدمة يهودى ثرى للعمل مع فقير مثلى مما يمكن أن يعد تقدمة.

لونسلو: الحق أن المثل القديم مقسم بالعدل بين سيدى شايلوك وبينك يا سيدي: لك فضل اله وله المال الوفير.

بسانيو: لقد أحسنت القول (إلى جوبو) أنصر بابنك يا أى (إلى لونسلو) استأذن سيدك القديم، ثم اسأل عن عنوانى (إلى رجاله) أعطوه على الفور كسوة أجمل من خلع رفاقه.

لونسلو: ادخل يا أبى، أحسبك كنت تتوهى أننى عاجز عن الظفر بعمل، وأننى لا أملك لسانًا أفصح به عما أريد، حسن ليس فى إيطاليا يد تنبئ خطوطها بحظ لصاحبها أعظم مما تنبئ كفي. ومن ثم سأكون موفقًا سعيدًا هاك خط الحياة واضح بين. وأرى فى خط الزواج حفنة ضئيلة من النساء، إن خمس عشرة زوجة عدد تافه!.. واحسرتاه! إن إحدى عشرة أرملة تسع كواعب أوانس لتركة ضئيلة لرجل واحد، ثم هناك ما ينبئ عن نجاتى من الغرق ثلاث مرات، وأن أكون مهددًا بالسقوط من فوق فراش من الريش، ولكننى سأنجو من هذه الأحداث فى يسر. حسن، لو كان الحظ امرأة فهى لا شك فتاة حسنا. هلم يا أبت ففى غمضة عين أستأذن اليهودى. (ينصرف لونسلو وجوبو الشيخ)

obeikandl.com

بسانيو: أرجوك يا ليوناردو أن تُعنى بهذه المهمة، فإذا ما ابتعت هذه الأشياء ورتبتها على ظهر السفينة، فعجل بالعودة، فإننى سأقيم حفل عشاء هذا المساء، دعوت إليه أنبل معارفى. فهلم عجل.

ليوناردو: سأبذل قصارى جهدى (يدخل جراتيانو)

جراتيانو: أين سيدك؟

ليوناردون: هناك يا سيدى يتمشى. (ينصرف)

جراتيانون: يا سيد بسانيو!

بسانيو: جراتيانو!

جراتيانو: لى مطلب عندك.

بسانيو: ولقد أجبته.

جراتيانو: يجب ألا تضن على، لابد لى أن أصحبك إلى بلمونت.

بسانيو: إذا كان لابد من مجيئك فلتأت ولكن أصغ إلى يا جراتيانو إن فيك لطيشًا ونزقًا [٩٢] إنك جافٍ، غير حذر فى أقوالك، وتلك صفات توائم[٩٣] طبيعتك الصريحة الواضحة خير مواءمة، وهى لا تبدو نقائص فى عيوننا نحن، أما حيث يجهلك الناس فتبدو فيها بعض الخشونة، ولهذا أرجوك أن تبذل جهدك فى كبح جماح نفسك المتوفزة، [٩٤] حتى لا يكون سوء تصرفك سببًا فى أن يظن القوم بى الظنون فى المكان الذى أنا ذاهب إليه فتضيع بذلك آمالى.

جراتيانو: يا سيد بسانيو ألق إلى سمعك. إذا لم أتخذ الرزانة لى خلة، ولم أتحدث فى دعة واحترام، وأقلع عن السباب إلا فيما ندر وأحمل فى جيبى كتب الصلاة، وأظهر بمظهر الجد والاتزان، وإذا لم أغط عينى بقبعتى على هذا النحو حين يحمد الناس الله قبل الأكل وبعده، وأقول آمين، وإذا لم

---

(٩٢) النزق: الطيش.

(٩٣) توائم: توافق وتناسب.

(٩٤) المتوفزة: المتقلبة

obeikandl.com

أرع جميع الآداب كما يفعل الشخص الذى تدرب على الظهور بمظهر الوقار ليرضى بذلك جدته – إذا أنا لم أصنع ذلك فلا وثقت بى بعد اليوم!

بسانيو: حسن، سنرى كيف تتصرف.

جراتيانو: حسن، ولكن لنستثن الليلة؛ فإياك أن تحكم على بما سنصنعه الليلة.

بسانيو: كلا، من الخطأ أن تكون جادًا هذا المساء. بل إنى لأرغب إليك فى أن طلق العنان لغبطتك وسرورك، لأن لدينا أصدقاء يرغبون فى المرح، إلى اللقاء، إن لدى بعض ما يشغلنى.

جراتيانو: وأنا يجب أن ألقى لورنزو وباقى الجماعة، غير أننا سنفد عليك ساعة العشاء. (يخرجون)

obeikandl.com

الفصل الثانى

المنظر الثالث

المدينة نفسها – غرفة فى منزل شايلوك

(تدخل جيسيكا ولونسلو)

جيسيكا: إنه ليؤسفنى أن قد اعتزمت ترك والدى على هذا النحو، إن دارنا هذه هى الجحيم، ولقد كنت أنت شيطانًا مرحًا يخفف بعض ما فيها من وحشة. ولكن، وداعًا، وهاك دوقية هدية لك، فإذا ما لمحت يا لونسلو لورنزو، ضيف سيدك الجديد على مائدة العشاء فأعطه هذه الرسالة، أعطه أياها خلسة، والآن وداعًا! فلست أحب أن يرانى أبى وأنا أتحدث إليك.

لونسلو: وداعًا! هذه دموعى تفصح عن مشاعرى التى أعجز الحزن لسانى عن تبيانها. يا أجمل كافرة، ويا أحلى يهودية! فإذا حسن تقديرى فإنه سيأتيك مسيحى حذق ليخطفك. وداعًا، فإن هذه الدموع السخيفة ستفقدنى صفات الرجولة وداعًا! (يخرج لونسلو)

جيسيكا: وداعًا يا لونسلو العزيز. واخسارتاه!.. ما أشنع خطيئتى، إذ أستشعر العار بانتسابى إلى أبى! بيد أننى أخالفه فى الطباع، وإن كنت من دمه. آه يا لورنزو، لو أنك حافظت على عهدك إذن لأنهيت هذا الصراع، واعتنقت المسيحية وأصبحت زوجتك المحبة. (تنصف)

obeikandl.com

الفصل الثانى

المنظر الرابع

المدينة نفسها. شارع

(يدخل جراتيانو ولورنزو وسالاريينو وسولانيو)

لورنزو: لا، سنتسلل فى أثناء تناول العشاء، ونتوجه إلى مسكنى حيث نتنكر فى أزياء أخرى، ثم نعود جميعًا بعد ساعة.

جراتيانو: لم يكمل استعدادنا بعد.

سالارينو: ولم نعد بعد حملة المشاعل.

سولانيو: سوف تكون حفلة التنكر غلطة بشعة ما لم نعد كل شيء إعدادًا ينطق بالحذق والجمال، والرأى عندى أن نتخلى عن هذه الفكرة.

لورنزو: الساعة الآن لم تتجاوز الرابعة، وأمامنا ساعتان لإنجاز كل ما يلزمنا (يدخل لونسلو حاملا رسالة)

لورنزو: مستمرًا ما هى الأنباء أيها الصديق لونسلو؟

لونسلو: إذا فضضت هذه الرسالة علمت بما تحتويها.

لورنزو: إننى لأعرف هذا الخط، والله إنه لخط جميل، وإن اليد كتبت الرسالة لأشد بياضًا من الورق الذى كتبت عليه.

جراتيانو: تالله إنها لأنباء غرامية.

لونسلو: أستأذنك فى الانصراف يا سيدى.

لورنزو: إلى أين أنت ذاهب؟

لونسلو: إلى سيدى السابق اليهودى، لأدعوه لتناول العشاء على مائدة سيدى الجديد المسيحى.

لورنزو: مهلا.. دونك هذا (يعطيه نقودًا) أبلغ جيسيكا الظريفة أنى لن أتخلى عنها؛ قل لها ذلك على انفراد، انصرف (يخرج لونسلو) أيها السادة، هل

obeikandl.com

ستعدون عدتكم لحفلة التنكر هذا المساء؟ أما أنا فقد ضمنت حاملا لمشعلى.

سالارينو: سأدبر هذا الأمر من فورى.

سولانيو: وكذل سأفعل أنا!

لورنزو: الحقا بنا أنا وجراتيانو فى مسكنه بعد ساعة.

سالارينو: من الخير أن نفعل ذلك. (ينصرف سالارينو وسولانيو)

جراتيانو: أفلم تكن هذه الرسالة من جيسيكا الحسناء؟

لورنزو: يجب أن أيحطك خيرًا بالأمر كله، لقد بعثت تصف الطريقة التى سآخذها بها من منزل أبيها، وتصف ما لديها من ذهب وحلى، كما تصف حلة الصيف التى أعدتها للتخفى فيها! ولو أن أباها اليهودى دخل الجنة فلن تكون ذلك إلا من أجل ابنته الحسناء وما كان لمصيبة أن تلم بها إلا بحجة أنها ابنة اليهودى كافر. هلم وامض معى، واقرأ هذه الرسالة فى الطريق. ستكون جيسيكا الحسناء حاملة مشعلى! (ينصرفان)

oberkandl.com

الفصل الثانى

المنظر الخامس

المكان نفسه

البندقية أمام دار شايلوك

(يدخل شايلوك ولونسلو)

شايلوك: حسن، سترى وستحكم عيناك بالفرق بين شايلوك العجوز وبسانيو. (ينادى) جيسيكا! (يواصل حديثه إلى لونسلو) لن تنال عنده من الطعام ما يشبع نهمك كما كان شأنك عندي. (ينادى) ماذا؟ جيسيكا! (يعود إلى الحديث مع لونسلو) ولن تنام وتغط، ولن تتلف ثيابك (ينادى) ماذا؟ جيسيكا، إنى أناديك!

لونسلو: (مناديًا) جيسيكا!

شايلوك: من أمرك بالنداء؟ أنا لم آمرك بذلك!

لونسلو: لقد كان على سيادتكم أن تأمروا ألا أفعل شيئًا بدون أن تأمروا. (تدخل جيسيكا)

جيسكيا: أتنادى؟ ماذا تريد؟

شايلوك: إنى مدعو لتناول العشاء يا جيسيكا. دونك مفاتيحى. ولكن لم أذهب؟ إننى لم أدع بدافع الحب، إنهم يتملقونني، بيد أنى سأذهب مدفوعًا بالبغض والكراهية، لأطعم على مائدة ذلك المسيحى المبذر، فيا بنتى جيسيكا، اعتنى بدارى، إنى ذاهب وأنا كاره، وإن شرًا ليدبر ليقضى على راحتي، فقد رأيت فى الحلم ليلة أمس أكياسًا من المال.

لونسلو: أتوسل إليك أن تذهب يا سيدى، فإن مولاى الشاب يرقب وصمتك [٩٥]

---

(٩٥) يريد أن يقول وصولك، وهذا ما يفهمه شيلوك، وفى الأصل كلمة وصمة ووصول لفظان قريبان من العسير أن نجد لهما مماثلا فى العربية، والوصمة: العيب والعار.

obeikandl.com

شايلوك: وهذا ما أنتظره منه.

لونسلو: ولقد اتفقوا فيما بينهم. ولن أقول إنك سوف ترى حفلا تتكريًا، ولكن إذا حدث وشاهدته، إذن فسيكون ذلك مصداقًا للرعاف الذى أسال الدم من أنفى فى الساعة السادسة من صبيحة يوم عيد الفصح الماضى، الذى وقع فى ذلك العار يوم أربعاء الرماد منذ أربع سنين بعد الظهر [٩٦]

شايلوك: ماذا؟ هل سيكون هناك حفل للتنكر؟ أصغى إلى جيدًا يا جيسيكا أغلقى الأبواب، فإذا سمعت الطبالين والزمارين ذوى الرقاب الملتوية فلا تتسلقى إلى النافذة، ولا تطلى برأسك على الشارع العام لتحدقى فى الوجوه المتنكرة لأولئك النصارى الحمقى، ذوى الوجوه المطلية، ولكن سدى آذان منزلي، أعنى نوافذه، ولا تسمحى لأصوات المجون التافه أن تدخل منزلى الهادئ الرزين، قسمًا بعصا يعقوب، إنى لا أميل إلى الذهاب إلى حفلة الليلة، غير أنى سأذهب. (موجهًا الخطاب إلى لونسلو) اسبقنى أنت وقل إنى قادم.

لونسلو: سأتقدمك يا سيدى (موجهًا الخطاب إلى جيسيكا) أطلى من النافذة ولا تبالى، سيمر بك مسيحى جدير بأن تتطلع إليه عينا يهودية (يخرج)

شايلو: ماذا يقول ذلك المعتوه من نسل هاجر [٩٧]؟

جيسيكا: كان يقول: الوداع يا سيدتي، لا شىء غير ذلك.

شايلوك: إن هذا المعتوه طيب القلب، ولكنه شره أكول، بطيء فيما يفيد بطء القوقعة، وينام بالنهار أكثر من نوم القط البرى، وليس لذكر النحل المكسال مكان فى خليتي، ولذلك أتخلى عنه، وأتخلى عنه لإنسان أريد أن يعينه على تبديد المال الذى اقترضه. ادخلى البيت يا جيسيكا، فربما عدت من فوري، افعلى كما أمرتك وأغلقى من دونك الأبواب، فالحيطة والحذر عصمة من المهالك! ذلك مثل لا يفقد جدته لدى أصحاب العقول المدبرة، (يخرج)

جيسيكا: وداعًا، وإذا لم يعثر حظى فقد أضعتُ أبى وأضعت بنيتك. (تخرج)

---

(٩٦) هذا بالطبع كلام لا معنى له.

(٩٧) كانت هاجر أمة سارة زوج سيدنا إبراهيم، قد أنجب منها ابنه إسماعيل الذى اضطر إلى النزوح إلى البرية عندما وضعت سارة إسحق، وكانت ذرية إسماعيل مكروهة محتقرة دائما من ذرية إسحق.

obeikandl.com

الفصل الثانى

المنظر السادس

المكان نفسه

(يدخل جراتيانو وسالارينو متنكرين)

جراتيانو: هذه هى السفينة التى رغب لورنز وفى أن ننتظره عندها.

سالارينو: كاد ينصرم الموعد الذى ضربه.

جراتيانو: وإنه ليدهشنى منه إبطاؤه عن موعده. ذلك أن العشاق يهرعون قبل الموعد الذى يضربونه.

سالارينو: ألا إن فينوس [٩٨] لتهرع [٩٩] دائمًا فى عربتها التى تجرها الحمائم لتبارك عقد حب جديد، بأسرع كثيرًا مما تفعل للإبقاء على الحب القديم.

جراتيانو: هذا ما يحدث دائمًا أبدًا، ومن ذا الذى يقوم عن مائدة طعام وله من الشهوة القوية مثل ما كان له حين جلس إليها؟ وأين هو الجواد الذى يقوى على العودة من الطريق المملة نفسها التى جازها بالحماسة نفسها التى كانت له حين سار فيها أول مرة؟ إن الناس ليجدون لتحقيق كل ما يبتغون أكثر مما يفعلون وهم يستمتعون بهذه الأشياء بعد الفوز بها. وكم تبدو السفينة المزانة بأشرعتها كشاب فى ميعة الصبا، أو كفتى مدلل، وهى تغادر مرفأها تهدهدها الريح الرخاء وتحتضنها! ثم انظر إليها كيف تؤوب [١٠٠] أوبة الضال [١٠١] وقد تثنت أضلاعها وتمزقت قلوعها، وصارت على حالة يرثى لها بفعل الرياح العاتية.

---

(٩٨) فينوس: إلهة الجمال عند الرومان، ويسميها الفينيقيون عشتروت، ويسميها اليونان أفروديت.

(٩٩) تهرع: تسرع.

(١٠٠) تؤوب: ترجع وتعود.

(١٠١) الإشارة إلى عودة الضال الذى هرب من أبيه ثم عاد وقد أكل من الخروب مع الخنازير كما يروى الإنجيل.

obeikandl.com

سالارينو: ها هو ذا لورنزو قادم، سنواصل هذا الحديث فيما بعد (يدخل لورنزو)

لورنزو: يا صديقى العزيزين، معذرة لتأخرى الطويل! وعلم الله أنها مشاغلى، لا أنها، هى التى جعلتكما تنتظران، وحينما ترغبان فى اختطاف زوجتين لكما فسأنتظركما طويلا حينذاك، هيا تقدموا هنا يسكن صهرى اليهودي. هيا! من بالداخل؟ (تظهر جيسيكا فى النافذة وقد ارتدت ملابس غلام)

جيسيكا: من أنت؟ حدثنى ليطمئن قلبى. وإن كان فى وسعى أن أقسم بأنى أعرف صوتك.

لورنزو: لورنزو، حبيبك.

جيسيكا: لورنزو أنت يقينًا، وحبيبى أنت من دون ريب، ومن ذا الذى أحبه قدر ما أحبك؟ ومن يا لورنزو يعرف أنك تهوانى؟

لورنزو: الله وعواطفك تشهد أنك محبوبتى.

جيسكيا: (تلقى إليه علبة) هلم أمسك هذه العلبة. إنها جديرة بما تعانيه من ذلك من مشقة. كم أنا مبتهجة، لأن الليل يحجبنى عنك. فلشد ما أستحى أن أستبدل بملابسى ثياب الغلام. بيد أن الحب أعمى، ولا يستطيع المحبون، أن يدركوا شيئًا عن الحماقات اللطيفة التى يرتكبها، لأنهم لو استطاعوا ذلك لاستحيا كيوبيد نفسه إذا شاهدنى وقد صرت غلامًا.

لورنزو: انزلى إذ يجب أن تكونى حاملة مشعلى.

جيسيكا: ماذا؟ أواجب على أن أحمل المشعل الذى يكشف عما أستحى منه؟ وما أستحى منه هو فى عين الحقيقة ظاهر باد للعيان. إن هذا عمل يكشف عن شخصي، والواجب على أن أختفى عن الأنظار.

لورنزو: إنك يا حبيبتى لكذلك، وما أجملك حتى فى ثياب الغلام البديعة، ولكن تعالى على الفور، فالليل الساتر أخذ ينصرم، وهم ينتظرون مقدمنا فى وليمة بسانيو.

جيسكيا: سأحكم إغلاق الأبواب وأزين نفسى بعدد آخر من الدوقيات، ثم أكون من فورى معك (تختفى من النافذة)

جراتيانو: قسما بما يسترنى، إنى لأجدها غير يهودية.

obeikandl.com

لورنزو: حقت على اللعنة إذا أنا لم أحبها من كل قلبى، فهى عاقلة رزينة – إذا كان فى وسعى أن أحكم عليها، وهى حسناء، إذا صدق عليها حكم عينى وهى صادقة مخلصة – كما برهنت هى على ذلك – وإذا كانت عاقلة حسناء مخلصة، فسأجل مكانها على الدوام فى أعماق روحى لا يتبدل حبى لها أبدًا. (تدخل جيسيكا) ماذا؟ هل أتيت؟ إذن هلم بنا أيها السادة! إن رفاقنا فى حفل التنكر ينتظرون مقدمنا. (ينصرف فى صحبة جيسيكا وسالارينو ويبقى جراتيانو) (يدخل أنطونيو)

أنطونيو: من هناك؟

جراتيانو: السيد أنطونيو!

أنطونيو: أفما تستحى يا جراتيانو؟ أين الآخرون؟ الساعة الآن التاسعة، وأصدقاؤنا جميعا ينتظرونكم. ولن نقيم حفلة التنكر الليلة فقد تحولت الريح. وسيبحر بسانيو توًا، ولقد أرسلت عشرين رجلا للبحث عنكم.

جراتيانو: إنه ليسرنى سماع هذا النبأ، فلست أريد بعد مسرة أكثر من الإبحار هذا المساء. (يخرجان)

obeikandl.com

الفصل الثانى

المنظر السابع

بلمونت – غرفة فى منزل بورشيا

(أنغام تنبعث من أبواق – تدخل بورشيا مع أمير مراكش وحاشيتهما)

بورشيا: أزيحوا الستائر حتى تظهر العلب الثلاث أمام هذا الأمير النبيل. (تزاح الستائر وتظهر العلب الثلاث) لك الآن أن تختار.

أمير مراكش: (مفكرًا) الأولى من الذهب، وهى تحمل هذه العبارة: "سينال من يختارنى، ما يرغب فيه الكثير من الناس" والثانية من الفضة وقد نقش عليها هذا الوعد: "سيظفر من يختارنى بما هو جدير به" أما الثالثة: وهى من الرصاص المعتم، فعليها تحذير لا يقل عن لونها قتامً: "يجب على من يختارنى أن يعطي، وأن يقامر بكل ما يملك" كيف أعرف أن أحسن الاختيار؟

بورشيا: أيها الأمير إن بين هذه العلب علبة تحتوى على صورتى، فإذا اخترتها فأنا والعلبة لك.

أمير مراكش: ليسدد الله خطاى! ولأتدبر الأمر، سأعيد تلاوة النقوش مبتدئًا بآخرها: ماذا تقول هذه العلبة الرصاصية؟ "على من يختارنى أن يعطى، أن يقامر بكل ما يملك"، يجب أن يعطي، ومن أجل أى شيء؟ من أجل الظفر بالرصاص؟ أيقامر من أجل الرصاص؟ إن هذه العلبة تتوعد. وإن الرجال الذى يقامرون بكل شىء إنما يفعلون ذلك أملا فى الظفر بمزايا طيبة، إن العقل النبيل لا يسف إلى حيث يكترث بما لا قيمة له من الأشياء، ومن ثم فلن أعطى أو أجازف بشىء فى سبيل الرصاص، وماذا تقول الفضة بطلائها النقى الطاهر؟ "سيظفر من يختارنى بما هو جدير به" سيظفر بما هو جدير به! تدبر هذا يا أمير مراكش، وكن عادلا فى تقدير شأنك، إنك لو قدرت حسبت قيمتك إذن لرأيت أنك تستأهل الشيء الكثير، وإن كان هذا الكثير لا يبلغ القدر الذى ينيلك

obeikandl.com

هذه الحسناء، ومع ذلك فإن فى الشك فى كفايتى حطًا من منزلتى بما أنا جدير به! أنا جدير بهذه الحسناء، وإنى لأستحقها بمنيتي، وثروتي، وشمائلى ومحامد نشأتي، وفضلا عن ذلك كله، فإنى جدير بها، لما أضمره لها من حب عظيم، فماذا على لو وقفت عند هذا واخترت؟ ومع ذلك أتلو مرة أخرى ما يقول هذا النقش الذى على الذهب: "سينال من يختارنى ما يرغب فيه الكثير من الناس"! وهل يرغبون فى غير هذه الحسناء؟ إن الناس قاطبة يرغبون فيها، وإنه ليفدون من أركان العالم الأربعة، لكى يحظوا بتقبيل الوعاء الذى يضم صورة ذلك الملاك الآدمي، ولقد أضحت صحارى هركانيا [١٠٢] ومجاهل بلاد العرب الشاسعة سبلا ممهدة يسلكها الأمراء ليشاهدوا بورشيا الحسناء، ولم تعد دولة البحار، التى تشرئب أمواجها لتبلغ عنان السماء، بقادرة على منع وفود الأجانب بل إنهم ليعبرونها كأنها جداول صغيرة، لكى يشاهدوا بورشيا الحسناء، إن واحدة من هذه العلب الثلاث لتضم صورتها السماوية. أيليق أن يحتويها الرصاص؟ إن التفكير فى هذا الاحتمال لأمر يستوجب الخسران! إن هذا المعدن الرخيص غير جدير باحتواء أكفانها فى ضلمات القبر! أو هلا يتجه بى الظن إلى أن تكون صورتها فى علبة الفضة، وهى أقل من عشر قيمة الذهب؟ فيا لها من فكرة آثمة! إن جوهرة غالية مثل هذه لم توضع قط فيما هو أدنى من الذهب، إن فى إنجلترا قطعة من النقود تحمل رسم ملاك مطبوعًا عليها بالذهب، بيد أننا نجد هنا رسم الملاك قابعًا فى فراشه الذهبى فى داخل العلبة إلى بالمفتاح، فلقد اخترت وليكن حظى ما يكون.

بورشيا: هاكه أيها الأمير، فإذا وجدت رسمى فيه فسأكون لك. (يفتح العلبة الذهبية)

أمير مراكش: يا للجحيم! ماذا أجد هنا! جمجمة عظمية لميت، وفى عينه المثقوبة رسالة مكتوبة! سأتلو ما بها (يقرأ) "طالما استمعت للحكمة التى تقول: ليس كل ما يبرق ذهبًا، وكم من رجل باع حياته ليشاهد منظرى الخارجى لا أكثر! إن الديدان تسعى داخل القبور المموهة بالذهب! ولو

---

(١٠٢) مقاطعة قديمة فى آسيا.

أن عقلك كان يعد شجاعتك، وكانت لك حكمة الشيوخ فى جسم الشباب لما كان جوابك هذه الرسالة! وداعًا، لقد أخفقت [١٠٣] خطبتك" لقد أخفقت فعلا وضاع جهدى! إذن فوداعا آمال الحب الحارة، ومرحبًا بحياة البرد والحرمان! وداعًا يا بورشيا. إن قلبى المفعم بالشجن ليحول بينى وبين توديعك على مهل؛ وهكذا ينصرف الخاسرون، (يخرج الأمير وحاشيته وتعزف الأبواق)

بورشيا: تخلص لطيف، أسدلوا الستائر، وانصرفوا. وليكن اختيار من لهم مثل حسنته كاختياره! (يخرجون)

obeikandl.com

(١٠٣) الإخفاق: عدم النجاح ومجانبة التوفيق.

الفصل الثانى

المنظر الثامن

البندقية. شارع

(يدخل سالارينو وسولانيو)

سالارينو: أيها الصديق، لقد رأيت بسانيو مبحرًا، وبرفقته جراتيانو، وإنى لعلى ثقة من أن لورنز ولم يكن فى سفينتهما.

سولانيو: لقد أثار اليهودى النذل الدوق بولولته وصراخه، حتى صحبه إلى سفينة بسانيو لكى يفتشها.

سالارينو: لقد جاء متأخرًا بعد أن أبحرت السفينة؛ بيد أن بعضهم أفهموا الدوق أن لورنزو وحبيبته جيسيكا قد شوهدا معًا يركبان قارب نزهة، وفضلا عن ذلك فإن أنطونيو أقر للدوق أنهما لم يكونا على ظهر سفينة بسانيو.

سولانيو: لم أسمع قط بسورة من الغضب أشد غرابة وعنفًا وتغيرًا من تلك العبارات التى كان يفوه بها ذلك اليهودى الكلب فى الشوارع لقد كان يصيح: "ابنتي! دوقياتى! لقد هربت ابنتى مع مسيحى! بالدوقيات المسيحية! أين العدالة؟ وأين القانون؟ مالى. ابنتي! كيسى مختوم، بل كيسان مختومان من الدوقيات المزدوجة قد سرقتهما منى ابنتى! والجواهر، حجران اثنان، نفيسان قيمان، سرقتهما ابنتي! يا للعدالة! إيتونى بالذهب، إن معها الحجرين الثمينين والدوقيات"

سالارينو: لقد سار خلفه كل غلمان البندقية، يرددون صيحاته عن أحجاره وابنته ودوقياته!

سولانيو: والحق أن على أنطونيو الطيب أن يحرص على الموعد الذى حدده، وإلا فسيضطر لتعويض اليهودى عن هذا كله.

سالارينو: لقد أعدت إلى ذاكرتى ما سمعته بالأمس من أحد الفرنسيين، فقد روى لى أن سفينة من سفن بلادنا قد تحطمت بحمولتها النفيسة فى المضيق الذى يفصل بين فرنسا وإنجلترا، ولقد انصرف خاطرى إلى أنطونيو

obeikandl.com

حين حدثنى بهذا الحديث، وتمنى – وأنا صامت – ألا تكون تلك سفينته.

سولانيو: كان من الخير أن تنقل لأنطونيو ما سمعت،ولكن إياك أن تفاجئه بذلك، فقد تملؤه غمًا.

سالارينو: لم يخطر على ظهر الأرض من هو أشد منه عطفًا، لقد رأيت بسانيو وأنطونيو هما يفترقان. قال له بسانيو إنه سيعجل بالعودة، فأجابه قائلا: "لا تفعل، وإياك يا بسانيو أن تتعجل فتفسد مهمتك من أجلي، ولتبق هناك حتى ينجز العمل، وأما عن الصك الذى أخذه اليهودى على فلا تأذن له بأن يقلق خاطرك الحبيب، ولتكن مبتهجًا مسرورًا، ولتستعن بألمع مواهبك فى خطبتك ومظاهر حبك، على النحو الذى يليق بك هناك" وما كاد ينطق بهذه العبارة حتى اغرورقت عيناه بالدموع، وأشاح بوجهه ومد يده من خلفه، فصاحت يد بسانيو فى صورة من أنبل مظاهر التأثر والأسى، وهكذا افترقا.

سولانيو: أحسب أنه إنما يجب هذه الدنيا من أجل بسانيو أرجوك أن تذهب معى فى طلبه، فتزيل عنه همه وترحه بكل ما ندخله عليه من السرور.

سالارينو: لنفعل ذلك. (ينصرفان)

openkanal.com

الفصل الثانى

المنظر التاسع

بلمونت غرفة فى دار بورشيا

(تدخل نريسا مع أحد الخدم)

نرسا: (مخاطبة الخادم) أسرع، عجل بإسدال الستار، فإن أمير أرغونة قد أقسم اليمين، وهو قادم من فوره ليختار. (أصوات أبواق _ويدخل أمير أرغونة وبوريشيا وحاشيتهما)

بورشيا: انظر أيها الأمير النبيل هذه هى العلب: إذا أنت اخترت التى فيها صورتى عقد قراننا على الفور، أما إن أخفقت فمن واجبك أن تنصرف من هنا فورًا بدون كلام.

أمير أرغونة: لقد قيدنى القسم بمراعاة ثلاثة شروط: الأول: إلا أذكر لأحد أية علبة اخترت، والثانى: إنى إذا أخفقت فى اختيار العلبة الصحيحة وجب على أن أكف عن خطبة أية فتاة أخرى، والشرط الأخير: هو أننى إذا أخفقت فى اختيارى غادرتك من فورى.

بورشيا: تلك هى الشروط التى يقسم على مراعاتها كل من يغامر فى سبيل شخصى الذى لا قيمة له!

أمير أرغونة: ولقد وافقت على هذه الشروط وتأهبت للمغامرة ألا فليحق الحظ آمال فؤادى أمام الذهب والفضة والرصاص الرضيع: "على من يختارنى أن يعطي، وأن يقامر من أجلى بكل ما يملك" كان ينبغى أن تبدو أملح شكلا قبل أن أعطيك أو أغامر فى سبيلك، وماذا يقول الصندوق الذهبي؟ لأر: "سينال من يختارنى ما يرغب فيه الكثير من الناس!" ما يرغب فيه الكثير من الناس؟! ربما كان المقصود بلفظ "الكثير" هذه الجماهير الحمقاء. الذين ينقادون للمظاهر فيما يختارون، لا يعلمون أكثر مما تعلمهم عيونهم الكليلة التى لا تتغلغل فى صميم الأشياء بل تفعل ما يفعله الخطاف الذى يبنى عشا فى العراء، فى خارج الجدران،

obeikandl.com

فيتعرض من جراء ذلك للأخطار! لن أختار ما يرغب فيه الكثيرون، ذلك أنين لن أكون من الدهماء. وأهبط إلى درك الجهلة من الغوغاء، والآن، إليك أتوجه أيها المحتوى على الكنز الفضي، ألا فلتحدثنى مرة أخرى أى شعار تحمل: "سيظفر من يختارنى بما هو جدير به؟" ويا له من شعار جميل! فمن ذا الذى يسعه أن يختال القدر فيدعى الشرف وهو له غير أهل؟ وليس لأحد أن يدعى ما لا يستحقه من العزة والكرامة، ألا ليت الكرامة والدرجات والمناصب لا تنال بالفساد، ولو أن التشريف يناله من يستحقه! إذن لبدا كثير من الفقراء الحاسرى الرءوس وقد غطوا رؤوسهم بقبعاتهم تكريمًا! ولأصبح كثير من الحاكمين بين المحكومين! ولانتمى كثير من فقراء الفلاحين الضعاف إلى أرومة الشرف الصحيح! وما أكثر ما يمكن أن نعثر وسط خراب الزمان وهشيمه [١٠٤] على شرفاء خليقين [١٠٥] بأن يصقلوا من جديد. حسن، ولكن هيا إلى الاختيار: "سيظفر من يختارنى بما هو جدير به" أحسب أننى جدير بها. أعطونى مفتاح هذه العلبة، فاكشف عن حظى من فوري. (يفتح العلبة الفضية)

بورشيا: لقد أطلت الوقوف أمام ما وجدت هنا.

أمير أرغونة: ماذا أجد هنا؟ صورة معتوه أخزر [١٠٦] العين، يقدم لى رسالة! سأتلو ما فيها، ما أكبر الفرق بينك وبين بورشيا! وما أكبر الفرق بينك وبين آمالى وكفاياتى! سيظفر من يختارنى بما هو جدير به" أفلم أكن جديرًا بأكثر من صورة لرأس معتوه أهذا جزائى؟ أفما أستحق خيرًا من هذا؟

بروشيا: إن الخطأ والحكم عليه مهمتان منفصلتان، وطبيعاتهما متناقضان.

أمير أرغونة: ماذا فى القرطاس؟ (يقرأ) "لقد تطهر هذا فى النار سبع مرات، ولقد محص هذا سبع مرات، ولم يحدث من قبل أن طاش سهم اختيارى، بيد أن من الناس نفرًا يقبلون الأشباح، وأولئك لا يظفرون من السعادة إلا

---

(١٠٤) الهشيم: كل نبت يابس متكسر.

(١٠٥) خليقين: جديرين، مستحقين.

(١٠٦) حزرت العين: صغرت وضاقت، وهو أخزر وهى خزراء.

بخيالها العابر، ولا مراء فى أن بين الأحياء بلهاء، يبدون فى مظهر أسمى من حقيقتهم، وتلك حال تلك العلبة، فتتزوج بمن شئت، فسأظل أنا على المدى رأسك! إذن فانصرف فقد أنجزت مهمتك"! وسأظل أبدو أشد غباء وحمقًا إذا أطلت هنا مقامى، لقد جئت خاطبًا برأس أبله غير أننى أنصرف الآن برأسيين. وداعًا أيتها العزيزة! سأبر بقسمى وأكظم غيظى بسبب إخفاقى (ينصرف أمير أرغونة وحاشيته)

بورشيا: هكذا تحترق الفراشة فى لهب الشمعة، آه، يا هؤلاء الحمقى! إنهم يختارون تتجلى حكمتهم فى قدرتهم على الخسارة!

تريسا: ألا ما أصدق قول الأقدمين: إن الأقدار هى التى تتصرف فى شئون الإعدام والزواج!

بورشيا: هيا أسدلى الستائر يا نريسا. (يدخل الخادم)

الخادم: أين سيدتى؟

بورشيا: ها أنا ذى. ماذا تريد منى يا سيدى؟

الخادم: لقد نزل ببابك يا سيدتى شاب من أهل البندقية، قدم منها ليعلن قرب قدوم سيده، وقد جاء معه من عنده بتحيات من نوع ملموس، أعنى أنه الذى حمله تحياته وعباراته الأنيقة مقرونة بهداياه الثمينة، ولم أر قط أليق منه سفيرًا للحب، فلم أر يومًا من شهر أبريل يأتى ملآن بالجمال، ليسبق الصيف الذى يقرع الأبواب، بأجمل من هذا الرسول الأريب الذى وفد من قبل سيده.

بورشيا: أرجو أن تكف عن الحديث، فإنى أكاد أخشى أنك إذا مضيت فيه فستخبرنا أنه من أقاربك، إنك لتستعين بالألفاظ المنتقاة فى مديحه والثناء عليه هلمى بنا يا نريسا. فإنى جد مشوقة لأن أرى عاجلا رسول الحب، هذا الذى يأتينا بهذا الأسلوب المؤدب المهذب.

نريسا: ألا ليته، بحق الحق، يكون هوبسانيو، (تخرجان)

obeikandl.com

الفصل الثالث

المنظر الأول

البندقية. شارع

(يدخل سولانيو وسالارينو)

سولانيو: والآن، ما عسى أن تكون أنباء الريالتو؟

سالارينو: مازالت الشائعات قامة لم تكذب، تقول إن أنطونيو قد غرق له مركب ثمين الحمولة فى البحار الضيقة، عند موضع أظنهم يسمونه "جدونز" [١٠٧] وهو موضع ضحل [١٠٨] شديد الخطورة صار – كما يقولون – قبرًا لحطام عدد جم من السفن الشامخة، هذا إذا كانت الشائعات الثرثارة صادقة فى قولها.

سولانيو: وددت أن تكون هذه شائعة كاذبة فى هذا كذب أية امرأة تقضم فطير الزنجبيل، وتوهم جيرانها أنها تبكى زوجها الثالث. بيد أن النبأ صحيح. بدون لف أو دوران أو نكوص عن استخدام اللغة الواضحة السهلة هو أن أنطونيو النبيل، أنطونيو الأمين – ألا ليتنى أجد وصفًا طيبًا يليق باسمه!...

سالارينو: عجل بإنهاء عبارتك، ولنسمع ما تريد قوله.

سولانيو: ماذا تقول؟ إن عبارتى تنتهى بأن أنطونيو قد خسر سفينة.

سالارينو: أرجو أن تكون هذه آخر خسائره.

سولانيو: دعنى أقل "آمين" مخافة أن يعترض الشيطان صلاتى فها هو ذا قادم الآن فى صورة يهودي. (يدخل شايلوك)

---

(١٠٧) goodwins هى رمال خطرة تجاه ساحل مقاطعة كنت الجنوبية فى إنجلترا وتزعم بعض الروايات أنها كانت فيما مضى جزيرة يملكها الإيرل جودوين ثم ابتلعها البحر حوالى عام ١١٠٠ قبل الميلاد.

(١٠٨) ضحل: قليل الماء لا عمق فيه.

obeikandl.com

سولانيو: والآن يا شايلوك! ما هى الأخبار المتواترة بين التجار؟

شايلوك: لقد عرفتما، ولم يعرف أحد أكثر منكما، نبأ فرار ابنتى.

سالارينو: هذا أكيد، ولقد عرفت أنا الخياط الذى صنع الجناحين اللذين فرت بهما.

سولانيو: أما شايلوك فقد عرف أن الطائر قد نبت ريشه، وأنه من شأن كل الطيور فى هذه الأحوال أن تهجر عش أبويها،

شايلوك: وإنها لهالكة لما اقترفت من إثم.

سالارينو: هذا أكيد إذا كان الشيطان قاضيها.

شايلوك: أيثور على لحمى ودمى؟!

سولانيو: يا للعار! أما تستحى أيها العجوز؟! أفى مثل سنك تعجز عن كبت جماح غضبك [١٠٩]؟

شايلوك: أريد القول إن ابنتى هى لحمى ودمى!

سالارينو: إن الفرق بين لحمك ولحمها لأعظم من الفرق بين الفحم والعاج، بل إن الفرق بين دمائكما لأكبر من الفرق بين النبيذ الأحمر ونبيذ الراين الأبيض.. ولكن، نبئنا، أبلغك نبأ خسارة أصيبت بها سفن أنطونيو بحرًا؟

شايلوك: وتلك صفقة أخرى خاسرة: مفلس، مسرف، قلما يجرؤ على الظهور فى الريالتو، متسول، ألف أن يتخطر مختالاً فى المضيق، فينفذ إذن شروط الصك، لقد كان يدعونى مرابيًا، فلينفذ شرط الصك، كان يقرض المال محسنًا على الطريقة المسيحية، فليف إذن بشروط الصك!

سالارينو: إنى لواثق من أنك لن تتقاضاه بعض لحمه إذا هو تأخر عن الوفاء وماذا تفيد منه؟

شايلوك: أصنع منه طعمًا للسمك، إذا لم يطعم شيئًا آخر، فلسوف يطعم ثأري، لقد لطخنى بالعار، وحال دون ظفرى بنصف مليون دوقية، ويضحك

---

(١٠٩) يتظاهر سولانيو أنه فهم من قول شايلوك بأن لحمه ودمه قد ثارا عليه بأن لم يستطع كبح جماح غضبه.

obeikandl.com

لخسائرى ويسخر من مكاسبي، ويمتهن أمتى ويفسد صفقاتي، ويوقع بيننى وبين أصدقائي، ويوغر [١١٠] صدور أعدائي، وما هى حجته فى ذلك كله؟ هى أننى يهودى أفليس لليهودى عينان؟ أفليس لليهودى يدان، وأعضاء وطول وعرض وحواس وعواطف؟ أفلا يطعم الطعام نفسه وتؤذيه الأسلحة نفسها أفليس هو معرضًا للأمراض نفسها أولا تشفيه الوسائل عينها؟ أفلا يشعر بالحر والبر صيفًا وشتاءً، شأنه فى ذلك شأن المسيحي؟ وألا ندمى إذا وخزتمونا؟ ونضحك إذا دغدغتمونا؟ وإذا دسستم لنا السم أفلا نموت؟ وإذا ظلمتمونا أفلا نعمد إلى الانتقام؟ وإذا كنا مثلكم فى الأمور الأخرى أفلا نكون مثلكم فى هذه الأمور؟ وإذا ظلم يهودى مسيحيًا فهل يتسامح المسيحى؟ وإذا ظلم مسيحى يهوديًا فماذا يكون مقدار احتماله إذا كان عليه أن يقتدى فى ذلك بالمسيحيين؟ إنه الانتقام، سأطبق عليكم ما تعلمته منكم من غلظة، ولو أننى لم أزد على ما تعلمته منكم لكان ذلك أمرًا عجيبًا. (يدخل خادم)

الخادم: (مخاطبًا سلارينو وسولانيو) أيها السيدان، إن مولاى أنطونيو فى داره وهو يرغب فى التحدث إليكما.

سالارينو: لقد كنا نبحث عنه فى كل مكان (يدخل توبال)

سولانيو: ها هو ذا واحد آخر من الجنس اليهودى مقبل، ولن يتيسر العثور على ثالث مثلهما، إلا إذا اعتنق الشيطان دين اليهود! (ينصرف سولانيو وسولارينو والخادم)

شايلوك: كيف الحال الآن يا توبال، ما هى أنباء جنوة؟ هل عثرت على ابنتى؟

توبال: كثيرًا ما زرت أماكن سمعت فيها عن مرورها بها، ولكننى عجزت عن الاهتداء إليها.

شايلوك: يا ويلتا، يا ويلتا، يا ويلتا، يا ويلتا، يا ويلتا! سرقت منى ماسة اشتريتها من فرنكفورت بألفى دوقية، كأن اللعنة لم تحل على أمتنا حتى الآن، ولم أشعر بها قط قبل اليوم! فقدت ألفى دوقية فى هذه الماسة، فضلا عن جواهر أخرى ثمينة للغاية وددت لو ماتت بنتى عند موطئ قدمى

---

(١١٠) أوغر صدره: أحماه من الغيظ وأوقده.

والقرطان فى أذنيها! آه! وددت لو أنها ميتة هنا عند قدمى والدوقيات فى نعشها! أما عن نبأ عنها؟ ولست أعلم كم من المال أنفق فى بالبحث عنها؟ يا لها من خسارة فوق خسارة! لقد هرب اللص بكذا من المال، ثم ينفق كذا من المال للبحث عن اللص، ثم لا جدوى ولا انتقام لا، ولا رزية إلا يقل بها كاهلي، ولا زفرة إلا ما ترسله أنفاسي، ولا دمعة غير ما تذرفه عيناى.

توبال: نعم وثمة آخرون نكبوا كذلك بسوء الطالع، فقد سمعت فى جنوة أن أنطونيو..

شايلوك: ماذا، ماذا، ماذا؟ سوء طالع سوء طالع!

توبال: أجل، فقد سفينة كبيرة كانت قادمة من طرابلس.

شايلوك: الحمد لله، الحمد لله، أحق هو؟ أحق هو؟

توبال: لقد تحدثت إلى بعض البحارة الناجين!

شايلوك: شكرًا لك يا عزيزى توبال! هذه أنباء طيبة، أنباء طيبة! هاها! أين؟ فى جنوة؟

توبال: وسمعت أن ابنتك قد أنفقت فى جنوة ثمانين دوقية فى ليلة واحدة.

شايلوك: أنك تطعننى فى قلبى بخنجر! لن أرى ذهبى مرة أخرى. أثمانون دوقية دفعة واحدة؟ ثمانون دوقية؟!

توبال: جاء معى إلى البندقية كثيرون من دائنى أنطونيو، قد أقسموا أنه لا محالة مفلس!

شايلوك: إنى لمبتهج جدًا لسماع هذا النبأ. وسأقضى عليه، سأعذبه إنى فرح لسماع هذا.

توبال: لقد أرانى أحدهم خاتمًا أخذه من ابنتك ثمنًا لقرد ابتاعته منه!

شايلوك: الويل لها! أنت تعذبنى يا توبال. ذلك خاتمى الزبرجدى أعطتنى أياه "ليحا" [١١١] أيام عزوبتي، وما كنت لأسلم فيه ثمنًا لغابة ملأى بالقرود.

---

(١١١) ليحا هى زوج شايلوك.

obeikandl.com

توبال: ولكن لا شك فى أن أنطونيو قد أفلس.

شايلوك: نعم هذا حق، هذا عين الحقيقة، اذهب إلى توبال، فاستأجر لى شرطيًا، استأجره قبل أسبوعين من حلول أجل العقد. فإن لم يوف أنطونيو بدينه فسأنتزع قبله، إن فى وسعى إذا خلت البندقية من وجهه أن أمارس فيها ما شئت من فنون التجارة، اذهب يا توبال ولنتقابل عند كنيسنا، اذهب يا عزيزى توبال، ملتقانا عند كنيسنا يا توبال (يخرجان)

obeikandl.com

الفصل الثالث

المنظر الثانى

بلمونت – غرفة فى دار بورشيا

(يدخل بسانيو وبورشيا وجراتيا ونريسا وخدم)

بورشيا: أرجوك أن تتمهل... انتظر يومًا أو يومين قبل أن تغامر، لأننى سأخسر صحبتك إن أخطأت فى الاختيار.. لذلك أرجوك أن تتريث قليلا، إن هاتفًا يهتف بى – وهو ليس بالغرام – أننى لا أريد أن أفقدك، وأنت نفسك تعرف أن الكره لا يسدى مثل هذه النصيحة ولكيلا تخطئ فى فهم ما يجول بخاطرى – وهو ما لا يسعنى أن أفصح عنه لأن الحياء يمنع العذراء من الإفصاح عنه [١١٢] – فإنى أود استبقاءك هنا شهرًا أو شهرين، قبل أن تغامر فى سبيلي، وإنه لفى وسعى أن أرشدك إلى الاختيار الصحيح، غير أننى أكون بذلك قد حنثت بيمين، ومحال أن أفعل ذلك أبدًا، ولهذا فقد تخسرنى، فإذا خسرتنى فستجعلنى أتمنى لو أننى أثمت فحنثت بهذه اليمين، لا تنظر إلى هكذا بعينيك... لقد سحرتانى فشطرتانى شطرين، أحدهما لك والثانى لك، وأريد أن أقول إنه لي، ولكنه إن كان لي، فهو إذن لك، ومن ثم أكون كلى لك، يا للمقادير الغاشمة، تقيم الموانع بين المالك وما ملكت يمينه! وهكذا أكون لك، ولا أكون لك، فإذا جرت المقادير بهذا فلتكن المقادير هى الملعونة، ولا تلعنى أنا، لأنى لن أخون عهدي، إنى لأطيل الحديث، غير أننى أستمهل الزمن، فأمده وأستطيل لبثه قبل أن يحين موعد اقتراعك.

---

(١١٢) احتمال آخر لفهم قولها أن يترجم هكذا: "ولكن خشية ألا تفهم ما يجول بخاطرى، مع أنى كأية عذراء كل ما يجول بخاطرى ينطق به لسانى ...".

obeikandl.com

بسانيو: أتيحى لى فرصة الاختيار لأننى أكابد، فى حالتى هذه ألوان العذاب [١١٣]

بورشيا: أتكابد ألوان العذاب يا بسانيو؟ إذن هلم فاعترف الخيانة التى تمتزج بحبك!

بسانيو: ما من خيانة إلا ذلك الشك البغيض الذى يفهم نفسى خوفًا من عدم الاستمتاع بمن أحب، لو جاز أن تقوم الألفة والمودة بين الثلج والنار، لجاز أن تمتزج الخيانة بحبى.

بورشيا: نعم، ولكننى أخشى أن تكون إنما تتحدث وأنت معذب، ومن ثم تجد نفسك مجبرًا على أن تقول أى شىء.

بسانيو: هبى لى الحياة، وأنا أعترف لك بالحقيقة.

بورشيا: إذن اعترف وعش.

بسانيو: خلاصة اعترافى هى أن أقول: "اعترف بحبك" ما ألذ هذا العذاب إذا كان معذبى يعلمنى كيف أتخلص منه! ولكنى دعينى أواجه حظى وهذه العلب.

بروشيا: هلم إليها إذن! إنى مغلقة فى إحداها، فإذا كنت تحبنى اهتديت إلى (إلى حاشيتها) أى نريسا، وأنتم جميعًا ابتعدوا قليلا، ولتعزف الموسيقى فى أثناء اختياره، فإذا خسر كانت نهاية غرامه كنهاية البجعة التى تموت وهى تغني! ولكى تتم المقارنة ستكون عيناى هى النهر لذلك الغرام الفقيد. فإذا قدر له الكسب، فماذا يكون شأن الموسيقى إذن؟ إذن لتكن الموسيقى نفخًا فى الأبواق كتلك التى تعزف حين ينحنى الرعايا المخلصون لمليكهم عند تتويجه! أو كتلك الأنغام العذبة المرسلة مع مطلع النهار إلى إذن العريس [١١٤] الحالم، تدعوه إلى حيث يعقد قرانه.

---

(١١٣) ألوان العذاب: فى الأصل يذكر آلة التعذيب المعروفة فى تلك العصور وتعد من أوائل الإشارات إلى بشاعة التعذيب فى سبيل الاعتراف.

(١١٤) إشارة إلى عادة كانت تتبع إذ يعزف أصدقاء العريس له الموسيقى تحت نافذته فى صباح زواجه.

obeikandl.com

وإنه ليتقدم الآن، فى جلال لا يقل عن جلال السيديس [١١٥] وغرم يفوق غرامه، حينما تقدم لإنقاذ العذراء التى قدمتها طروادة وهى تبكى للوحش البحري: إننى تلك الضحية، والذين من حولى هن الزيجات الدردانيات [١١٦] اللاتى غشى الدمع عيونهن، وقد جئن ليشهدن ختام هذه المغامرة. اذهب إذن يا هرقل! فإن عشت فسأعيش؛ وإنى لأشاهد الصراع وأنا أشعر بوطأته أكثر مما تشعر به أنت يا من تخوض غماره، (تعزف الموسيقى فى حين يتأمل بسانيو العلب) (أغنية) حدثونى أين ينشأ الغرام؟ أفى القلب أم فى العقل؟ كيف يولد؟ وبم يتغذى؟ أجيبونى أجيبوني، إنه يولد فى العينين ويطعم بالنظر، وهو يموت فى المهد الذى يولد فيه، فلندق جميعًا دقة موت الغرام وسأبدأ أنا دق دق أيها الجرس.

الجميع ينشدون: دق، دق أيها الجرس.

بسانيو: قد لا تتفق مظاهر الأشياء مع حقائقها، فالبهارج تخدع الناس على الدوام، وما من دفاع يثار أمام المحاكم – مهما يكن باطلا – إلا أخفت عوراته وعيوبه فصاحة المحامى المدره [١١٧] الذى ينهض به! وهل يوجد فى الدين زيغ [١١٨] أو ضلال – مهما كان ملعونًا بغيضًا – إذا قام من رجال الدين من يتظاهر بالتقى ويؤكد سلامته بنص من الكتاب المقدس، ويخفى ذلك الزيغ البغيض بحيلة أنيقة رقيقة؟ وما من رذيلة إلا تتراءى متشحة بزى الفضائل التى تخفى مظهرها الحقيقى. وما أكثر

---

(١١٥) alcides من أسماء هرقل، والإشارة إلى قصة إنقاذ هرقل للأميرة الطروادية حزيونه hesione وقد أراد أبوها أن يقدمها قربانًا لإله البحر اتقاء لانتقامه منه بسبب إخلاف عهد وقد سلط عليه هولا بحريًا فخلصها هرقل وقتل الهول.

(١١٦) تقول الأساطير أن داردنيوس بن زيوس والكترا هو الذى خرج من صلبه أهل طروادة، ويقول هوميروس إنه هو الذى بنى دردانيا فى المكان الذى أقيمت فيه طروادة فيما بعد.

(١١٧) المدره: السيد الشريف، والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال: والمراد به هنا: البليغ القوى الحجة.

(١١٨) الزيغ: الميل عن الحق.

obeikandl.com

الجبناء الذين تطير قلوبهم شعاعًا، وكأنهم درج م الرمال! بيد[١١٩] أن ذقونهم تردان بلحية البطل هرقل، [١٢٠] أو لحية مارس[١٢١] ذى الوجه العبوس، وإذا نحن خبرناهم وجدناهم خائرين، [١٢٢] غير أنهم يتكلفون البطولة لكى يخدعوا الناس عن حقيقتهم فيحسبوهم بواسل، وانظروا إلى الجمال تجدوه يشترى وزنًا، غير أن الطبيعة تحدث معجزة فى هذا الصدد فإن أكثر النساء زينة أكثرهن نزفًا وخفة عقل؛ وهكذا الحال مع تلك الغدائر [١٢٣] الذهبية المصففة المتثنية كالثعابين، والتى يعبث بها النسيم، فهى – وإن تباهت بها رؤوس تبدو جميلة – ليست فى الحقيقة سوى شعر اجتذ من رأس آخر صارت الجمجمة التى كانت تزهو به وتعتز، عظامًا نخرة فى ظلام القبور، ومن ثم فإن التزين ليس سوى الشاطئ الخلاب لبحر رهيب شديد الخطورة، أهو القناع الخلاب الذى يخفى وراءه وجهًا خلوًا من أسباب الفتنة شبيهًا بوجه حسان الهنود [١٢٤] أهو – بالاختصار – ما يشتبه بالحيلة والخداع أنه الحق لكى يخدع به الزمان أحكم الحكماء لذلك فإنى لا أبتغى منك شيئًا أيها الذهب البراق، يا طعام ميداس الصلب [١٢٥] ولا منك أيتها الفضة فما أنت سوى ذلك المعدن الشاحب المتداول بين الناس، أما أنت أيها الرصاص الرقيق، الذى ينذر ويتهدد أكثر مما يعد، فإن سذاجتك الصامتة تثيرنى أكثر مما تثير الفصاحة، وهأنذا أختارك، آملا أن تكون هناءتى عقبى هذا الاختيار!

---

(١١٩) بيد: غير.

(١٢٠) هرقل: أشهر الأبطال فى أساطير اليونان والرومان، كان شجاعته خارقة وقوته جبارة.

(١٢١) مارس: إله الحرب عند الرومان.

(١٢٢) خائرين: ضعافًا منكسرين.

(١٢٣) الغدائر: جمع غديرة وهى الذؤابة المضفورة من شعر النساء.

(١٢٤) يريد، خاليًا من جميع أسباب الجمال وإن كان الهنود الحمر يرونه جميلاً.

(١٢٥) يشير إلى قصة الملك ميداس ملك فريجيا الذى طلب إلى الإله ديونيسوس أنه يهبه القدرة على أن يحول كل ما يمسه إلى ذهب، ولما وجد أن طعامه وشرابه حين مسا شفتيه استحالا ذهبًا طلب إلى ربه أن يسترد هذه الهبة.

obeikandi.com

بورشيا: (على انفراد) سرعان ما تلاشى فى الهواء كل ما عر الحب من الانفعالات من شكوك وبأى ليس له مبرر وخوف يرتجف منه جسمي، وغيرة خضراء العينين [١٢٦]! فيأيها الحب ترفق بى، وخفف من غلواء [١٢٧] نشوتك، من السعادة، إن إحساسى لينوء بهذه النعمة، فلتخفف من القدر الذى تمنحنى منها حتى لا أهلك من فرط السعادة!

بسانيو: (يفتح العلبة الرصاصية) ماذا أرى هنا؟ صورة بورشيا الحسناء! أى فنان هذا الذى أوتى من القدرة ما كاد يرفعه إلى مكانه الآلهة، فيكاد يخلق كما يخلقون؟ أو تتحرك هاتان العينان؟ أم هما تبدوان كذلك، لانعكاسهما على حدقتى اللتين لا تكفان عن الحراك؟ وهاتان الشفتان يفرق بينما مرور أعذب الأنفاس، ألا ما أجدر هذا الحاجز الحلو أن يكون بين هذين الصديقين الجميلين. وهنا فى شعرها أصبح الرسام كالعنكبوت فنسج شبكة ذهبية تقنص قلوب الرجال، بأسرع مما يصيد بيت العنكبوت الحشرات، أما عيناها، أما عيناها – فكيف تمكن ذلك الرسام من النظر إليهما حتى أبدع تصويرهما؟ وقد كنت أظن أنه بعد أن يصور عينًا واحدة، كان خليقًا به أن يجد فيها من السحر ما يسلبه كلتا عينيه فيترك العين واحدة بلا قرين؟ ومع ذلك فإن ثنائى لأضعف من أن يوفى هذه الصورة حقها لأن بينه وبينها ما بين هذه الصورة وصاحبتها، ها هى ذى الرسالة، وإنها لتشتمل على خلاصة حظى. (يقرأ) أنت يا من لا ينساق فى اختياره وراء الطلاء الخارجي، ليكن حظك باهرًا واختيارك سديدًا، وما دمت قد أصبت هذا الحظ العظيم فلتكن به قنوعًا، ولا تبحث عن سواه، فإذا قرت عينك بهذا، وأدركت أنك حققت به أقصى ما تصبو إليه من سعادة، فتوجه إلى غادتك واستأذنها فى قبلة غرام، يا لها من رسالة رقيقة سيدتى الحسناء أستأذنك.. إن أصدع بالأمر، فأقبل وأتلقى القبل، وما أنا الآن إلا كأحد اثنين يتنافسان على جائزة، وقد حسب أنه قد أعجب الجماهير. فهو يسمع تصفيقها وهتافها، ويتناوبه الأمل والإشفاق ولا يزال يحدق ببصره الزائغ لا يعرف

---

(١٢٦) يشير إلى الاعتقاد السائد وهو أن المصابين بالغيرة تخضر عيونهم من اليرقان.

(١٢٧) الغلواء: الغلو والمبالغة: وغلواء الشباب: أوله وحدته.

هل هذا الثناء الجم له هو أو لخصمه. وهكذا أنا يا سيدتى الفاتنة، أقف موقف المرتاب فى صدق ما تراه عيناى، حتى تصدقى أنت عليه وتمهر به بقبولك وتأييدك.

بورشيا: إنك لترانى، يا بسانيو العظيم، فى صورتى الحقيقية؛ ولو أن الأمر كان مقصورًا على وحدى لما تطاولت آمالى فرغبت فى أن أكون أحسن مما أنا، غير أننى أود من أجلك لو كنت أفضل مما أنا عليه اليوم ستين مرة، ولو كنت أجمل ألف مرة وأكثر غنى عشرة آلاف مرة وإنى لأتمنى أن أبلغ الغاية فى فضائلى وجمالى ومالى وأصدقائى لا لشيء إلا لأسمو فى نظرك، غير أننى عند الحساب الحق لا أساوى شيئًا فما أنا فى جملتى إلا فتاة ناقصة فى العلم والخبرة، يسعدها أن السن لم تتقدم بها كثيرًا تحول بينها وبين التعلم، وهى أسعد من ذلك فى أنها لم تنشأ نشأة جهالة، مما يسر لها أسباب التعليم، وهى أسعد فوق هذا وذلك لأنها تضع روحها الرقيقة بين يديك لتوجهها كيف تشاء أنت يا مولاها وحاكمها ومليكها، لقد أصبحت أنا ومالى ملكك، لقد كنت فى هذه اللحظة سيدة هذا القصر الجميل، ومولاة خدمي، ومالكة أمرى، وفى اللحظة عينها صار هذا القصر وهؤلاء الخدم وأنا نفسي، ملكًا لك يا مولاى إنى أهبك هؤلاء جميعًا مع هذا الخاتم الذى وأوصيك بحفظه فإذا فرطت فيه أو فقته أو نزلت عنه لأحد فذلك نذير بانتهاء حبك إياي، ويسوغ لى حق الشكوى منك.

بسانيو: لقد سلبتنى يا سيدتى القدرة على التعبير فلأدع دمى وحده يتحدث إليك وهو يجرى على شراييني، وإنى لأشعر باضطراب فى أفكارى، مثيل ذلك الذى تحس به الجماهير المبتهجة عقب إصغائها إلى خطبة كريمة ألقاها أمير محبوب، فإن عواطف تلك الغوغاء تختلط وتضطرب ثم تلتقى وتجتمع فى إحساس واتحد يفصح عن الغبطة، وإن لم يعبر عنها باللفظ، فإذا فارق هذا الخاتم هذه الإصبع فارقتين الحياة، وليكن لك وقتئذ من الشجاعة ما ينطقك بأن بسانيو مات؟

نريسا: يا سيدى ويا سيدتى، لقد جاء دورنا، نحن الذين وقفنا هنا ورأينا آمالنا تتحقق وتثمر، أن نصبح متمنين لكما كل سعادة وهناءة لك يا سيدى ولك يا سيدتى.

openkandil.com

جراتيانو: يا سيدى بسانيو ويا سيدتى الرقيقة؛ أتمنى لكما كل ما تتمنيان لنفسيكما من سعادة وسرور، فأنا واثق من أنكما لن تتمنيا شيئًا غير ما أتمنى لكما [١٢٨] ومن ثم أستميحكما إذا ما توجتما بالزواج هذا الميثاق الذى عقدتماه بينكما فى أن أتزوج أنا أيضًا فى يوم قرانكما.

بسانيو: متى وجدت زوجة فإنى موافق من كل قلبى.

جراتيانو: إنى أتوجه بالشكر إلى سيادتكم، فقد هديتنا أنت إلى هذه الزوجة، إن عينى يا سيدى قادرتان على النظر بمثل السرعة التى تنظر بها عيناك، ولقد وقع بصرك على السيدة، وحط ناظرى على الوصيفة، لقد أحببت يا سيدى كما أحببت أنت، ومن المحقق أن التأخير ينال منا نحن الاثنين بقدر واحد، ولقد كان حظك يعتمد على تلك العلبة، وكذلك كان حظى كما تكشفت الأمور، فلقد ظللت أغازل حتى كاد يقضى على فى سبيل استمالة قلب هذه الآنسة، وأقسم لها بصدق حبى حتى جف حلقي، وأخيرًا ظفرت منها بوعد – إن صدقت الوعود – بأن تولينى حبها إذا ظفرت أنت بسيدتها.

بورشيا: أحق هو يا نريسا؟

نريسا: إنه لحق يا سيدتى بشرط أن تكون راضية عنه.

بسانيو: وهل أنت جاد يا جراتيانو فى أن تبر بيمينك؟

جراتيانو: نعم، إنى جاد يا مولاى!

بسانيو: لا شك أن سعادتنا فى حفل قراننا ستزداد كثيرًا بزواجكما معنا!

جراتيانو: وسنتراهن على ألف دوقية أينا يلد الولد الأول.

نريسا: وماذا نضع ضمانًا على هذا الرهان؟

جراتيانو: إذا كنت أنا الذى يضع [١٢٩] أضعنا الرهان والضمان ولكن من ذلك القادم؟ هذا لورنز وفتاته الكافرة! ثم هذا هو صديقى البندقى القديم سولانيو [١٣٠]! (يدخل لونزو وجيسكيا وسلانيو)

---

(١٢٨) الأصل يحتمل أكثر من معنى.

(١٢٩) فى الأصل لعب بالألفاظ لم نر بدًا من الخروج قليلاً عن المعنى لنؤديه بالعربية.

obeikandi.com

بسانيو: مرحبًا بكما فى هذا المكان، يا لورونز ويا سولانيو، إذا كنت أستطيع – على الرغم من حداثة عهدى فى هذا المكان – أن أرحب بكما. وإنى لأستاذنك يا عزيزتى بورشيا فى الترحيب بصديقى ومواطنى.

بوريشيا: وإنى مثلك يا سيدى أرحب بهما أعظم الترحيب.

لورنزو: شكرًا لك يا سيدتى، أما أنا يا مولاى، فلم يكن هدفى القدوم لرؤيتك هنا، إلا أننى صادفت سولانيو فى الطريق، فألح على كثيرًا لآتى معه، ولم يسعنى لشدة الحاجة إلا أن أجيب طلبه.

سولانيو: هذا ما فعلته يا مولاي، وعندى من الأسباب ما دعا إلى ذلك فقد حملنى السيد أنطونيو تحياته إليك (يعطيه رسالة من أنطونيو)

بسانيو: أرجوك، قبل أن أفض الرسالة، أن تخبرنى كيف حال صديقى العزيز؟

سولانيو: ليس هو بالمريض إلا إذا كان عقله هو الذى يسبب مرضه، وليس هو بالسليم إلا إذا كان عقله يعينه ويواسيه! ولسوف تنبئك رسالته بحاله.

جراتيانو: (مشيرًا إلى جيسيكا) نريسا، هلمى رحبى بضيفتك الغريبة، وأحسنى استقبالها، ضع يدك فى يدى يا سولانيو، ما هى أنباء البندقية؟ وكيف حال أنطونيو الصالح، ذلك التاجر النبيل، لقد خرجنا كما خرج جيسن فى التماس الجزة الذهبية، ووفقنا فى الحصول عليها.

سولانيو: لوددت لو ربحتم الجزرة التى خسرها.

بورشيا: إن هذه الرسالة تتضمن أنباء أليمة، امتقع لها وجه بسانيو، فهل مات صديق عزيز، فلا شىء غير هذا يبدل حال هذا الرجل القوى الثابت هذا التبديل كله، إن حاله لترداد سوءًا! بإذنك يا بسانيو، إننى نصف شخصك، ومن واجبى أن أطالب بنصف ما تحمله إليك هذه الرسالة أيًا كان هو.

بسانيو: آه عزيزتى بروشيا، تلك طائفة من الألفاظ المشئومة التى قلما تسودت بها ورقة! سيدتى الحسناء، إنى حين صارحتك بحبى لأول مرة

---

(١٣٠) فى نسخ الكوارتو سالبريو SALERIO وهى شخصية جديدة رسول من البندقية. أما سلانيو فمذكور من قبل.

openkanal.com

صارحتك بأن ما أملكه من ثروة لم يكن سوى ما يجرى فى عروقى من دماء، أى أنى سيد شريف، ولقد قلت لك الحق حينذاك، ومع ذلك فإنك يا سيدتى سترين كيف كنت أزهو بنفسى حين أقررت أننى لا أملك شروى نقير [١٣١] فحين قلت لك إننى لا أملك شيئًا كان واجبى يدعونى حينذاك إلى التصريح لك بأن ثروتى أقل من لا شيء، ذلك أننى فى واقع الأمر، قد استدنت بضمانة صديق عزيز مبلغًا من المال أقضى به حاجتي، فأوقعت صديقى بذلك الضمان بين براثن [١٣٢] عدو لدود وها هى ذى رسالته يا سيدتى كأنها جسد صاحبى، وكأن كل كلمة فيها جرح نافذ يسح منه دم الحياة، ولكن، أحق ذلك يا سولانيو؟ أباعت جميع مغامراته التجارية بالإخفاق؟ ماذا؟ ألم تعد واحدة منها رابحة، من طرابلس، أو من المكسيك، أ، من إنجلترا، أو من لشبونة، أو بلاد المغرب، أو الهند؟ ألم تنج سفينة واحدة من سفنه الكثيرة من الارتطام الرهيب بتلك الصخور التى تقضى على ثروة التجار؟

سولانيو: لم تنج واحدة منها يا مولاي! والأنكى [١٣٣] من ذلك ما يبدو من أنه لو حصل على المال وأراد أن يوفى به اليهودى لما قبله منه، فما عرفت قط مخلوقًا على صورة إنسان له مثل هذه الرغبة الحادة الشرهة فى إلحاق أفظع ضروب الأذى ببنى الإنسان، فهو يلح على الدوق من الصباح حتى المساء، ويعلن أنه لن يطمئن إلى حقوقه فى ظل هذه الدولة إذا لم تنصفه، ولقد حاول عشرون من التجار، كما حاول الدوق نفسه، وأعظم أعيان البندقية – حاول هؤلاء جميعًا أن يقنعون، غير أن أحدًا منهم لم يستطع إثناءه عن مطلبه البغيض، فأبى غلا أن يحقق ما نص عليه العقد من جزاء.

جيسكيا: لقد سمعته – حين كنت معه – يقسم لتوبال وشوس، مواطنيه أنه يؤثر [١٣٤] أن يصيب قطعة من لحم أنطونيو على أن ينال عشرين ضعفًا

---

(١٣١) لا يملك شروى نقير: أى فقير معدم.

(١٣٢) براثن: جمع رثن، وهو مخلب السبع أو الطائر.

(١٣٣) الأنكى الأشد هزيمة وقهرًا.

(١٣٤) يؤثر: يفضل.

للمبلغ الذى هو مدين به له، وأنا موقنة يا سيدى أن أنطونيو سيواجه موقفًا صعبًا إذا لم يحل دون ذلك القانون وولاة الأمور.

بورشيا: أعزيز عليك ذلك الصديق الذى يواجه هذه المحنة؟

بسانيو: إنه أعز أصدقائى، وهو أشد الناس عطفًا وأنبل من رأيت خلقًا، وأكثر الناس ميلا إلى فعل الخير وإن الروح الرومانية الأصلية لتتجلى صافية نقية فى شخصه كما لا تتجلى فى أحد سواه من أهل إيطاليا.

بروشيا: وما هو المبلغ الذى يطالبه به اليهودى؟

بسانيو: يطالبه بثلاثة آلاف دوقية كنت استدنتها أنا منه.

بورشيا: أهذا هو كل الدين؟ إذن أد لليهودى ستة آلاف دوقية وألغ ذلك العقد، بل ضاعف له هذا المبلغ، ثم قدم له ثلاثة أمثاله، قبل أن يفقد صديق لبسانيو، هذا وصفه، شعرة من جسمه، نتيجة لخطأ ارتكبه بسانيو، ولتتوجه معى أولا إلى الكنيسة حيث تتخذنى لك زوجة، ثم تلحق بعد ذلك بصديقك فى البندقية، فلن تضطجع إلى جوار بورشيا وأنت تحمل بين جنبيك نفسًا قلقة حائرة. وستحمل معك من الذهب ما تستطيع أن توفى به ذلك الدين عشرين مرة، ومتى وفيت الدين قدمت إلى هنا يصحبك صديقك الصدوق، أما عنى أنا ووصيفتى نريسا، فسنعيش فى تلك الفترة عيش العذارى والأرامل، تقدم وسترحل من هنا فى يوم زفافك. رحب بصديقيك وأظهر لهما البشاشة، وسيزداد إعزازى وحبى إياك، بمقدار ما قد أغليت مهرك. ولكني، دعنى أستمع إلى رسالة صديقك.

بسانيو: (يتلو الرسالة) "أى بسانيو العزيز، لقد تحطمت جميع سفني، وغدا دائنى غلاظ الأفئدة، حالى فى الدرك الأسفل، ومضى موعد الوفاء بوثيقة اليهودي، وإذ كنت لا أستطيع العيش بعد الوفاء بها فقد أعفيتك مما بيننا من دين، إذا أنا استطعت رؤيتك وقت وفاتى، ومع هذا فلتفعل ما يناسبك، فإذا لم يحملك حبك على المجيء فإنى أرجو ألا تحملك عليه هذه الرسالة"

بورشيا: يا حبيبى، رتب أمورك من فورك، وسافر!

بسانيو: ما دمت قد نلت إذنك لى بالرحيل، فسأعجل السفر، ولكن أعاهدك أننى لن أضطجع على فراشي، أو أذوق شيئًا من الراحة يحول بينى وبينك

(يخرجون)

obeikandl.com

الفصل الثالث

المنظر الثالث

البندقية. شارع

(يدخل شايلوك وسالارينو وأنطونيو وسجان)

شايلوك: أيها السجان، حذار أن يفر منك، وإياك أن تحدثنى عن الرحمة، فهذا هو الأبله الذى يقرض المال بلا ربح! أيها السجان حذار أن يفلت منك.

أنطونيو: أصغ إلى مرة أخرى يا شايلوك الطيب.

شايلوك: سأتقاضى حقي، فلا تسمعنى حديثًا يناقض ذلك، فلقد أقسمت أن أنال حقى كما نصت عليه وثيقتى، لقد دعوتنى بالكلب بدون جريرة اقترفتها؛ فإذا كنت كلبًا فاحترس إذن من أنيابي، سيقضى الدوق بإنصافى. وإنى لأعجب لك أيها السجان الحقير، كيف يبلغ بك الحمق أن تخرج بهذا السجين حين يشاء.

أنطونيو: أرجوك أن تصغى لمقالى.

شايلوك: سأنال حقى، ولن أصغى لحديثك؛ سأنال ما تقضى به وثيقتى، ومن ثم فلا داعى إلى إطالة الحديث، فأنا لن أسمع لنفسى أن أكون من أولئك البلهاء، الضعاف القلوب، القصار النظر، الذى يهزون رءوسهم، عطفًا عليك فى أحزانك، ويتحسرون ويستسلمون لشفاعة النصارى، كف عن ملاحقتى فليس لى معك حديث وسآخذ حقى الذى تقضى به الوثيقة.

سالارينو: لم ينكب البشر بأبشع من هذا الوغد [١٣٥] المجرد من العطف والشفقة.

---

(١٣٥) الوغد: الأحمق الدنيء الرذل.

obeikandi.com

أنطونيو: دعه وشأنه، فلن ألاحقه بعد الآن بتضرعات لا غناء فيها، إنه يريد أن يسلبنى حياتى، وأنا جد عليم بالسبب، فكثيرا ما استخلصت من شباكه كثيرين ممن شكوا إلى منه فى بعض الأحيان، ولذلك فهو يبغضنى.

سالارينو: أعتقد أن الدوق لن يسمح بتطبيق ذلك الشرط.

أنطونيو: لا يسع الدوق أن يحول دون تطبيق القانون فإن تعطيل هذه الحقوق التى يتمتع بها الأجانب معنا فى البندقية من شأنه أن يعرض الدولة لملامهم وانتقادهم، وادعائهم بأن العدالة الحقة لا تأخذ مجراها، وفى ذلك خطر على البندقية التى تتألف تجارتها وتأتى أرباحها من كل الأمم، فهيا بنا. إن هذه الآلام والخسائر قد أنحلت جسمي، حتى ليكاد يستحيل على غدرًا أن أوفى منه رطلا لدائنى هذا المتعطش للدماء امض بى أيها السجان، واسأل الله أن يأتى بسانيو، ليرانى وأنا أوفى دينه، وأنا لا أحفل بعد ذلك بشيء! (يخرجون)

oberkandl.com

الفصل الرابع

المنظر الربع

بلمونت – حجرة فى قصر بورشيا

(تدخل بورشيا ونريسا ولورنزو وجيسيكا وبالتزار)

لورنزو: سيدتى، إنى إن كنت أقول هذا القول فى حضرتك فإنك تدركين إدراكًا نبيلاً كريمًا تلك الصداقة الإلهية، ولقد أفصحت عن ذلك الإدراك أيما إفصاح بتحملك غياب زوجك، بيد أنك لو عرفت شأن الرجل النبيل الذى ترسلين إليه معونتك، ومقدار حبه وإخلاصه لمولاى زوجك، لكنت بلا ريب أعظمهم مباهاة بهذا الصنيع منك بأية يد أخرى تبسطينها شفقة وإحسانًا.

بورشيا: ما ندمت قط على معروف أسديته، فكيف بنى أندم فى هذا المقام! ذلك أن الخدينين اللذين يسمران وينفقان الوقت معًا، واللذين ارتبطت روحاهما برباط واحد من المحبة المتبادلة المتعادلة، لابد أن يتشابها فى المظهر والخلق والروح، وهذا ما يحملنى على الظن بأن أنطونيو هذا لابد مشابه سيدي، ما دام هو أصدق أصدقائه فإذا كان الأمر كذلك، فما أبخسه من ثمن ذلك الذى تقدمت به، لأستنقذ شبيه حياتى وروحى من ذلك الموقف التعس الجهنمي! بيد أننى أوشك أن أزكى نفسي، فنقصر إذن عن هذا الحديث، ولنصغ إلى أمور أخرى، يا لورنزو، إنى أعهد إليك تدبير أمور دارى حتى يعود زوجى، أما عني، فقد عاهدت الله فى نجواى أن أعيش للصلاة والتأمل معتزلة الناس طرًا فيما عدا نريسا، إلى أن يرجع زوجها هو ومولاى، فهنالك دير على بعد ميلين وسنتوجه للإقامة فيه، فلعلك لا ترفض النهوض بهذا الواجب الذى تفرضه عليك الصداقة وأسباب أخرى قاهرة.

لورنزو: سيدتى، سأطيعك من كل قلبى فيما تصدرينه إلى من أوامر.

obeikandl.com

بورشيا: لقد عرف أتباعى ما عزمته، وسيقران لك وجيسكيا بالسيادة التى يقران بها لبسانيو ولى، فالوادع إذن، إلى أن نلتقى.

لورنزو: فلتطب أوقاتك ولتسعد أفكارك!

جيسكا: أتمنى لسيدتى ما تشتهى من سعادة.

بورشيا: أشكر لكما تمنياتكما، ويسرنى أن أبادلكما إياها، وداعًا يا جيسيكا. (تنصرف جيسيكا ولورنزو) والآن بالتزار، أود أن أراك الآن أمينًا مخلصًا كعهدى بك دائمًا، خذ هذا الكتاب، وابذل أقصى جهد تستطيعه شر فى السفر إلى بادوا، واحرص على أن تضع الكتاب بين يدى ابن عمى الدكتور بيلاريو، ثم تسلم منه ما سيعطيكه من أوراق وملابس، وأرجوك أن تحضرها إلى بأقصى سرعة ممكنة عند مرسى السفن المبحرة للبندقية، إياك أن تضيع الوقت فى الكلام، بل اذهب من فورك سأكون هنالك قبلك.

بالتزار: يا سيدتى، سأنطلق بأقصى سرعة ممكنة. (ينصرف)

بورشيا: تعالى يا نريسا، إن أمامنا عملاً ما زلت به جاهلة؛ فسنرى زوجينا قبل أن يبدأ التفكير فينا.

نريسا: وهل سيراننا؟

بورشيا: بدون شك يا نريسا، ولكن فى ملابس توحى بأننا استكملنا ما ينقصنا، وسأراهنك على ما تشائين عند ما نبدو فى صورة شابين، إننى سأغدو أكثر جرأة، وسأكون أكثر منك رشاقة وخفة عندما أتقلد خنجري، وسأتحدث كالمراهق فى صوته الرفيع النفاذ، وسترين كيف أحول خطوتين من خطواتى الرشيقة إلى خطوة الرجل الثابتة الوطيدة، ولسوف أتحدث عن مشاجراتى ومشاحناتى كما يفل أى شاب فخور بشجاعته، سأقص الترهات الخيالية والأباطيل، فأتحدث عن حرائر السيدات اللواتى نشدن حبى، فلما لم أستجب لهن، مرضن، ثم متن صبابة، وسأقول إن الذنب لم يكن ذنبى؛ ولسوف أبدى أسفى وأتمنى، على الرغم من هذا، أن لم أكن سببًا فى موتهن، وسأسرد عشرين من أمثال هذه الأكاذيب الزهيدة حتى يقسم الرجال أننى قد غادرت المدرسة منذ أكثر من عام،

obeikandl.com

إلا أن لدى ما لا يحصى من هذه الخدع التى لا يقدم عليها إلا كل سليط من الغلمان، وسأمارسها.

نريسا: ماذا، هل نتحول إلى رجال؟

بورشيًا: تبًا لك! أى سؤال هذا؟ أحمد الله أن امرأ غريبًا لم يسمع هذا الكلام فيسيء إدراك معناه الحقيقى، ولكن تعالى، سأحيطك علمًا بخطتى كلها متى صرت فى العربة التى تنتظرنا تجاه باب الحديقة، فعجلى إذن، فإن علينا أن نقطع اليوم عشرين ميلا. (تخرجان)

obeikandl.com

الفصل الثالث

المنظر الخامس

المكان نفسه – حديقة

(يدخل لونسلو وجيسيكا)

لونسلو: نعم هذا حق، أصغى لحديثى فهو الصدق كله، فإن خطايا الأب تقع على كواهل الأبناء؛ ومن ثم فإنى أقطع بأنى أخشى عليك من شر سيصيبك، لقد كنت معك على الدوام واضحًا صريحًا، وهكذا أنا اليوم أفضى إليك بما أعرفه من هذا الأمر، فانشرحى إذن صدرًا لأننى أرى أنك هالكة لا محالة، غير أن هناك أملاً وحيدًا ربما عاد عليك ببعض الخير، ومع ذلك فهو أمل غير مشروع.

جيسيكا: أرجوك أن تطلعنى على ذلك الأمل؟

لونسلو: الحق أنه ربما جاز لك أن تتمنى لو لم يكن أبوك قد جاء بك إلى هذا العالم وأنك لم تكونى ابنة اليهودى.

جيسيكا: حقًا؟ يا له من أمل غير مشروع، وهكذا ينوء كاهلى بعبء خطيئة والدتى.

لونسلو: إنى لأخشى عليك إذن أن تكونى ملعونة الأب والأم جميعًا، فإذا طلب لسفينتك النجاة من الارتطام بصخرة أبيك لم يكتب لها النجاة من صخرة أمك [١٣٦] وهكذا أنت هالكة لا محالة.

جيسكيا: سينقذنى زوجى، فلقد صرت بفضله نصرانية [١٣٧]

---

(١٣٦) فى الأصل أنك إذا نجوت من سلا ارتطمت بكريبديز وسلا وكريبديز صخرتان بين إيطاليا وصقلية لا يفصل بينهما إلا جزء ضيق من البحر، وكان يسكن فى كهف عند الصخرة الأولى هولة مروعة تدعى سلا، وعلى الصخرة الثانية هولة أخرى تدعى كريبديز تبتلع ماء البحر ثلاث مرات فى اليوم ثم تقذفه مرة أخرى من جوفها.

(١٣٧) يشير إلى الرسالة الأولى لأهل كونثوس (الإصحاح السابع/ ١٤)

obeikandi.com

لونسلو: والحق إنه لذلك أشد استحقاقًا اليوم، فلقد كان عددنا نحن النصارى كثيرًا قبلك، لقد بلغنا أقصى عدد يستطيع العيش معًا، فالإكثار من تحويل الناس إلى المسيحية سيرفع أسعار الخنازير، وإذا صرنا جميعًا من أكلة لحم الخنزير فلن يحصل أحدنا عما قريب حتى على قطعة صغيرة من الشواء السريع مهما يبذل فيها من ثمن. (يدخل لورنزو)

جيسيكا: سأخبر زوجى يا لونسلو بما قلت، فها هو ذا قادم.

لورنوز: سوف أغدو عما قريب غيورًا منك يا لونسلو، إذا ما أسرفت فى الحديث إلى زوجتى على انفراد.

جيسكيا: ما ينبغى لك أن تتخوف من انفرادنا يا لورنزو، فإنى ولونسلو مختلفان. فهو يقول لى فى جلاء إننى لن أجد رحمة فى الدار الآخرة لأننى ابنة يهودي، ويقول إنك لست عضوًا صالحًا فى المجتمع المسيحى لأنك بإدخالك اليهود فى الدين المسيحى تعمل على رفع أسعار الخنازير.

لورنزو: لشد ما يتلاعب البلهاء بالألفاظ [١٣٨] ويخيل إلى أن الصمت سيبتلع عما قريب روائع الكلام، وأن الحديث سيصبح حرامًا إلا على الببغوات، اذهب يا هذا واطلب إليهم الاستعداد للعشاء [١٣٩]

لونسلو: لقد استعدوا يا سيدى فإن لهم جميعًا بطونًا.

لورنزو: رباه! ما أبرعك فى التلاعب بالألفاظ! إذن فمرهم بإعداد الطعام.

لونسلو: ولقد تم هذا أيضًا، وبقى أن يفرش غطاء المائدة إيذانًا ببدء العشاء.

لورنزو: وهل تجلس مغطى الرأس إذن [١٤٠]؟

لونسلو: ليس فى وسعى فعل ذلك يا سيدي، فإن أعرف حدود واجبي.

لورنزو: ولم هذا الإسراف فى تحوير الألفاظ بلا موجب؟ أتريد أن تلقى كل ما فى جعبتك من النكات دفعة واحدة؟ أرجوك أن تدرك المعانى البسيطة

---

(١٣٨) فى الأصل حوار حول قصة لونسلو يعبره بها وليس لها قيمة فى المسرحية.

(١٣٩) يريد هو أن يقول أعدو العشاء ولكن لونسلو يأخذها بلفظها ويقول إن الخدم مستعدون للعشاء لأنهم جياع، ولذلك يطلب إليه فيما بعد أن يأمرهم بإعداد العشاء.

(١٤٠) يريدون أنه لن يجلس حول المائدة وعلى رأسه قبعته.

obeikandl.com

التى يهدف إلى الإعراب عنها رجل بسيط مثلى، توجه إذن لى إلى رفاقك ومرهم بفرش غطاء المائدة وإحضار اللحوم، وبعد ذلك سنقدم نحن لتناول العشاء.

لونسلو: أما عن المائدة يا سيدى (فستوزع) وأما عن اللحوم يا سيدى (فستغطى) وأما عن قدومك لتناول الطعام فسيكون ذلك رهن مشيئتك (يخرج)

لورنوز: يا للبصيرة النيرة! ويا للألفاظ المختارة البارعة! لقد حشد هذا الأبله فى ذاكرته جيشًا من الألفاظ المنتخبة، وإنى أعرف كثيرًا من البلهاء، الذين يشغلون أماكن خيرًا من مكانه، يلبسون لباسه، ولا يأبهون بمعانى الألفاظ حين يتلاعبون بها، والآن كيف أنت يا جيسيكا؟ كيف أنت أعز حبيب؟ ثم حدثينى برأيك فى زوجة بسانيو!

جيسيكا: إنها تجل عن الوصف. وما أخلق بسانيو بأن يحيا حياة الاستقامة! فما دام الله قد أنعم عليه بهذه الزوجة فقد وجد على أرضنا مسرات السماء، وإذا هو لم يشأ أن يحيا حياة الاستقامة فى هذه الدنيا كان غير جدير بأن ينال أية سعادة فى الدار الآخرة، والحق أنه لو تراهن إلهان فى السماء على امرأتين من نساء الأرض، إحداهما بروشيا، لوجب أن يكون ثمة شى آخر يضاف إلى الثانية، لأن هذه الدنيا الهمجية لم تنجب لها نظيرًا.

لورنزو: هى نموذج للزوجات بقدر ما أنا نموذج للأزواج.

جيسيكا: أو ما سألتنى أولاً رأى فى ذلك؟

لورنزو: سأفعل بعد قليل هيا أولا إلى العشاء.

جيسيكا: بل دعنى أثنى عليك ونفسى تواقة [١٤١]

لورنزو: كلا ولكنى أرجوك أن نجعل ذلك حديث المائدة ولسوف أهضم كل ما تقولينه أيًا كان مع غيره من الأشياء.

جيسيكا: حسن، إذن هلم إلى المائدة. (يخرجان)

---

(١٤١) تريد تواقة إلى الثناء، ولكنها تشير من طرف خفى إلى الجوع.

obeikandl.com

الفصل الرابع

المنظر الأول

البندقية. محكمة

(يدخل الدوق والأعيان وأنطونيو وبسانيو وجراتيانيو وسالارينو وآخرون)

الدوق: هل أنطونيو هنا؟

أنطونيو: إنى رهن إشارة سموكم.

الدوق: إنى آسف لما أصابك، وإنك لتواجه خصمًا قد قلبه من الصخر، مجردًا من الإنسانية فاقد الإحساس بالشفقة، ليست لديه ذرة من العطف والرحمة.

أنطونيو: لقد سمعت أن سموكم قد بذلتم جهدًا عظيمًا، لتخففوا من شدة مطالبه، ولكنه اتخذ موقف العناد، ولما كانت مواد القانون لا تنجينى من براثن حقده، فإنى أواجه سورة غضبه متذرعًا بالصبر، وأنا مدرع بهدوء روحى لملاقاة ما يجيء به أقسى استبداده وحقده.

الدوق: ليتوجه من يدعو اليهودى للمثول أمام المحكمة.

سالارينو: إنه بالباب، مستعد للقدوم يا مولاى. (يدخل شايلوك)

الدوق: افسحوا له الطريق ودعوه يقف فى مواجهتنا، إن الناس كلهم يظنون يا شايلوك، وأنا معهم فى ذلك أيضًا، أن كل ما تريده هو أن تمضى فى هذا الضرب من الحقد البغيض حتى آخر الشوط، وهم يظنون أنك حينذاك ستظهر شفقتك ورحمتك على نحو أعجب مما تتظاهر به من القسوة العجيبة، ويقولون إنك لن تنزل فقط عن الجزاء الذى تود توقيعه باقتطاع رطل من لحم هذا التاجر البائس، بل إنك ستأخذك الرحمة الإنسانية والعطف وتلقى عليه نظرة، لما أصابه من الخسائر الأخيرة الفادحة التى أثقلت كاهله، فتعفيه من بعض المال، وهو دين لو أصيب به أعظم التجار لأفلس، واستدر العطف من كل القلوب، وإن قدت من النحاس أو الصخر الأصم، إنه لخطب يؤثر حتى فى نفوس الترك

obeikandl.com

والتتار الأجلاف، أولئك الذين لم يألفوا الرقة فى المعاملة، وإنا جميعًا لنرقب جوابًا رقيقًا منك أيها اليهودى.

شايلوك: لقد صارحت سموكم بما أهدف إليه، ولقد أقسمت بسبتنا المقدس أن آخذ ما لى من حق لمضى وقت الوفاء، كما جاء فى الصك، فإذا أنكرتم هذا فلتقع مخالفتكم أنظمة مدينتكم وحرياتها على كواهلكم، ولسوف تسألنى لم أفضل الظفر بقطعة من اللحم الفاسد على ثلاثة آلاف دوقية؟ ولكنى لن أجيبك عن ذلك السؤال، ولكن لتقل إن هذا هو مزاجى الخاص! فهل استطعت أن أجيبك؟ وماذا فى الأمر إذا كان هناك فأر يعبث فى بيتى فسادًا ويضايقني، وكان يسرنى أن أؤدى عشرة ألاف دوقة لاصطياده؟ أترضون هذا جوابًا؟ إن من الناس من يمقتون رؤية خنزير مشوى فاغر فاه، وآخرين يجنون جنونًا إذا شاهدوا قطًا، ومنهم من لا يستطيع منع نفسه من التبول إذا أصغى لنعمة مزمار، ذلك أن عواطفنا تسيطر سيطرة كاملة على ما نحب وما نكره والآن لأجب عن سؤالك: كما أنه لا يوجد سبب قوى يوضح السر فى كراهية هذا الإنسان خنزيرًا فاغرًا فاه، أو ذاك القط عديم الأذى الذى لابد من وجوده فى المنزل، ولم لا يطيق ثالث هذا الزمار، فكذلك لا أستطيع أن أدلى بسبب، ولن أدلى بسبب أكثر من أننى أضمر البغض لأنطونيو، وأحقد عليه أشد الحقد؛ ولهذا أمضى فى قضية خاصرة ضده. أفيقنعكم هذا الجواب؟

بسانيو: ليس هذا جوابًا أيها الرجل العديم المشاعر، يسوغ قسوتك التى نراها تتعاقب مظاهرها واحدً تلو الآخر.

شايلوك: لست ملزمًا بأن تعجبك إجاباتى.

بسانيو: أفيقتل الناس كل ما يكرهون؟

شايلوك: أيكره الإنسان ما لا يرغب فى قتله؟

بسانيو: ليس ضروريًا أن تؤدى كل إساءة إلى الكراهية.

شايلوك: ماذا تقول؟ أفتسمح لثعبان بأن يلدغك مرتين؟

obeikandl.com

أنطونيو: أرجوك أن تتذكر أنك تناقش اليهودى، إنه لأسهل عليك أن تتوجه إلى الشاطئ لتأمر ماء المحيط أن يخفض من ارتفاعه، أو فى وسعك أن تسأل الذئب لم أكى النعجة بافتراس صغيرها؟ بل فى مقدورك أيضا أن تمنع أشجار الصنوبر الجبلية من تحريك أغصانها العالية فلا تحدث صوتًا إذا هبت عليها عواصف السماء، إذا كان فى وسعك أن تفعل كل شيء مهما صعب، فإن فى وسعك أن تلين قلب اليهودى الذى لا نظير له فى قسوته، ومن ثم فرجائى إليك ألا تعرض عليه شيئًا بعد، وكفاك جهدًا فى هذا السبيل، ولكن عجلوا بإعلان القانون كما يتراءى لكم، واحكموا فى قضيتى، وليظفر اليهودى بمرامه.

بسانيو: هذه ستة آلاف دوقية خذها مقابل آلافك الثلاثة.

شايلوك: لو أن كل دوقية من هذه الآلاف الست قسمت ستة أقسام وصار كل قسم منها دوقية لما رضيت بذلك مغنمًا! لست أبغى غير تنفيذ شرط الوثيقة.

الدوق: كيف ترجو مرحمة وأنت لا تظهر شيئًا منها؟

شايلوك: وأى حكم أخشاه ما دمت لا أظلم أحدًا؟ إن لكثير منكم عبيدًا اشتريتموهم بأموالكم، وتستخدمونهم فى أعمال مهينة حقيرة، كما لو كانوا حميرًا أو كلابًا أو بغالا، ذلك لأنكم اشتريتموهم بالمال، فهل أستطيع أن أقول لكم: حرروا هؤلاء العبيد، ودعوهم يتزوجوا من ورثتكم؟ ولم يتصببون عرقًا وهم ينوءون بأحمالهم؟ ولم لا تكون أسرتهم ناعمة وثيرة كأسرتكم؟ ولم لا تكون أطعمتهم دسمة شهية كأطعمتكم؟
ستجيبوننى قائلين: إن العبيد عبيدنا؛ وكذلك أجيبكم أنا: "أن رطل اللحم الذى أطالب به قد اشتريته بثمن غال!" إنه حقى وسأناله، فإذا أبيتم على ذلك فسيلحق العار بقضائكم، ولن يصبح لقوانين البندقية أى أثر فعال، إن أقف مطالبًا بحكمكم فأجيبوني: هل سأظفر به؟

الدوق: إن من حقى أن أقف هذه المحكمة بما لى من سلطان، ما لم يفد العالم الضليع بيلاريو الذى أرسلت فى طلبه اليوم للوقوف على رأيه فى حسم هذه القضية.

سالارينو: مولاى إن فى الخارج رسولا قدم توا من بادوا يحمل رسائل ذلك العالم.

obeikandl.com

الدوق: أحضر لنا الرسائل وادع الرسول.

بسانيو: لا تحزن يا عزيز أنطونيو! احتفظ بشجاعتك! سوف يظهر اليهودى بلحمى ودمى وعظامى وكل ما فى قبل أن تفقد أنت نقطة من دمك.

أنطونيو: ما أنا إلا كبش أجرب فى القطيع، فأنا لذلك أجدر ما فيه بالموت، وإن أضعف أنواع الفاكهة هى التى تسرع بالسقوط إلى الأرض، فليكن هذا شأني. إن أفضل ما تستطيع أن تصنعه يا بسانيو هو أن تعيش لتكتب كلمة ترحم على قبرى (تدخل نريسا متنكرة فى زى كاتب محام)

الدوق: أقادم أنت من بادوا، من عندى بيلاريو؟

نريسا: نعم، يا مولاى منها، وإن بيلاريو ليبعث إلى سموكم بتحياته. (يقدم رسالته)

بسانيو: (يخاطب شايلوك الذى يشخذ سكينه على نعل حذائه) لم هذا الاهتمام بشحذ سكينك؟

شايلوك: لكى أنتزع رطل اللحم من ذلك المفلس.

جراتيانو: إنك أيها اليهودى المتحجر القلب لا تشحذ السكين على نعلك، وإنما تشحذها على نياط قلبك، غير أنه ما من معدن، حتى ولو كان سيف الجلاد، يمكن أن يكون أكثر حدة من حقدك! أفلا تستطيع التضرعات أن تصل إلى قلبك؟

شايلوك: كلا، فإن شيئًا مما تستطيع أن تبتكره عقولكم لم يستطع أن يبلغ قلبى.

جراتيانو: لعنك الله أيها الكلب الذى لا يلين، ولتكن حياتك سبة فى جبين العدالة، إنك لتكاد تزعزع إيماني، وتدفعنى إلى اعتناق رأى فيثاغورث [١٤٢] القائل بأن أرواح الحيوانات تتقمص أجسام البشر ولا شك أن روحك الشريرة هى روح ذئب شنق لفتكه آدمي، وأن روح ذلك الذئب قد هربت وهو فوق المشنقة، وسرعان ما تقمصتك وأنت فى بطن أمك الخبيثة، ذلك أن رغائبك ذئبية عضها الجوع، فظمئت إلى النهش والافتراس!

---

(١٤٢) فيثاغورث: فيلسوف يونانى أسس جماعة تؤمن بتناسخ الأرواح، وله نظرية هندسية باسمه.

obeikandl.com

شايلوك: ما دمت لا تستطيع انتزاع الخاتم من صكى فإنك لا تؤذى سوى رئتيك حين تتحدث بهذا الصوت المرتفع. عالج مزاجك أيها الشاب الطيب، وإلا فسيتهددك الخطر الذى لا نجاة لك منه، إنى أقف هنا أطالب بتنفيذ القانون.

الدوق: إن هذه الرسالة القادمة من بيلاريو توصى المحكمة بعالم شاب. فأين هو؟

نريسا: إنه على مقربة من هنا ينتظر أن تأذنوا له بالدخول.

الدوق: بكل سرور نسمح له، وهل لثلاثة أو أربعة من بينكم أن يتوجهوا لطلبه واصطحابه إلى هذا المكان؟ وإلى أن يصل ستستمع المحكمة لنص رسالة بيلاريو، (الكاتب يقرأ) ستدركون سموكم أننى تقليت رسالتكم وأنا مصاب بمرض شديد، بيد أننى فى اللحظة التى وصل فيها رسولكم، كنت متشرفا بزيارة عالم شاب من أصدقائى فى روما يدعى "بالتزار" ولقد أطلعته على سر النزاع القائم بين اليهودى والتاجر أنطونيو، ولقد راجعنا معًا الكثير من الكتب، ثم زودته برأى المدعم بعلمه الغزير الذى لا أستطيع أن أفيه حقه من الثناء، والذى يحمله إليكم بعد أن ألححت عليه فى أن يقوم مقامى فى أداء المهمة التى شرفتمونى بطلبى لأجليها، وإنى لأرجوكم ألا يكون صغر سنه حائلا دون ما يستحقه من تقدير. ذلك أننى لم أعرف قط شابًا له مثل ذلك العقل المحنك، وإنى لأبعث به موقنًا أنه سيحظى من سموكم بالقبول الحس، وواثقًا من أن تجربته ستكون أبلغ تزكية لشخصه.

الدوق: ها أنتم هؤلاء تسمعون ما كتبه العلامة بيلاريو، وها هو ذا العالم قادم إذا صدق ظنى (تدخل بورشيا فى زى محام)

الدوق: (مستمرًا) مد إلى يدك. أقادم أنت من عند الشيخ بيلاريو؟

بورشيا: نعم يا مولاى.

الدوق: مرحبًا بك، تفضل بالجلوس. أملم أنت بالخلاف المثار الآن أمام المحكمة؟

obeikandl.com

بورشيا: إنى محيط إحاطة كاملة بالقضية. فأين هو التاجر؟ وأين هو اليهودى من بين هؤلاء القوم؟

الدوق: ليتقدم كل من أنطونيو وشايلوك الشيخ.

بورشيا: اسمك شايلوك؟

شايلوك: إن اسمى شايلوك.

بورشيا: إن القضية التى تثيرها من نوع عجيب. بيد أنها من نوع لا يستطيع قانون البندقية أن يمنع السير فى إجراءاتها. (مخاطبة أنطونيو) وهل أنت الذى تواجه الآن خطره؟

أنطونيو: نعم هذا هو ما يقوله.

بورشيا: أو تعترف بالصك؟

أنطونيو: نعم، أعترف،

بورشيا: إذن فمن واجب اليهودى أن يكون رحيمًا.

شايلوك: وما الذى يلزمنى بذلك؟ قل لى.

بورشيا: إن الرحمة لا يلزم بها الناس إلزامًا، وإنما هى كالمطر الرقيق يهطل من السماء على ما تحته، وإنها لمزدوجة البركة، فهى تبارك من يعطي، وتبارك من يأخذ وهى أنبل ما تكون عند أقوى الناس، وهى تجمل الجالس على عرشه أكثر مما يجمله تاجه، ذلك أن صولجانه يرمز إلى قوة سلطانه فى هذه الدنيا، وهو مظهر الرهبة والجلال حيث يكون الرعب والخوف من الملوك، أما الرحمة فهى أسمى من هذا السلطان إن مقرها فى قلوب الملوك وهى من صفات الله سبحانه، وإن السلطان الدنيوى ليكاد يدون من القوة الإلهية، إذا ما خفقت الرحمة من حدة العدالة، ومن ثم أيها اليهودى إن تكن العدالة طلبتك فإنها إذا جرت مجراها فلن ينال أحد منا النجاة، ونحن نتضرع إلى الله طالبين الرحمة، وهذا التوسل نفسه يعلمنا أن نفعل ما يفعله الرحماء ولقد قلت ما قلت لكى أخفف من مغالاتك فى الاستناد إلى جانب العدالة فى دعواك، فإذا مضيت فى شكواك هذه فإن محكمة البندقية الصارمة ستضطر إلى إصدار حكمها على التاجر.

obeikandl.com

شايلوك: لتقع تبعة أعمالى على أم رأسى! إننى متمسك بالقانون، ومصر على توقيع العقوبة المنصوص عليها فى الصك الذى لم يوف فى موعده.

بورشيا: أو عاجز هو عن أداء الدين؟

بسانيو: إنى أقدمه إليه الآن فى حرم المحكمة، ومستعد لتقديم ضعفيه، فإذا لم يكف ذلك، فإنى متعهد بأن أؤدى عشرة أمثاله، فإذا لم أوف به فلتقطع يداى ورأسى وقلبي؛ فإذا لم يكف ذلك، فلا مراء فى أن جانب الحقد فى نفسه يرجح جانب العدالة، وإنى لأتوسل إليكم أن تخضعوا القانون مرة واحدة لسلطانكم، وأن تحققوا قدرًا كبيرًا من الخير بقدر قليل من الشر، وألا تمكنوا هذا الشيطان القاسى من أن ينال مأربه.

بورشيا: هذا ما لا يمكن أن يكون ليس فى البندقية سلطة يسعها أن تلغى قانونًا مقررًا، فإن هذا لو تم يكون سابقة، ولسوف تكثر الأخطاء التى تقع فيها الدولة استنادًا لهذا المثال، هذا لن يكون.

شايلوك: هذا دانيال جديد أتى إلى المحكمة، أنت النبى دانيال! أيها القاضى الشاب الحصيف ألا ما أعلى قدرك فى نظرى!

بورشيا: أرجوك أن تطلعنى على الصك.

شايلوك: ها هو ذا أيها العالم المبجل.

بورشيا: شايلوك، إن ثلاثة أمثال الدين معروض عليك.

شايلوك: إنه لقسم، إنه لقسم، ولقد أقسمت بالله، فهل أحنث بيمنى؟ كلا حتى ولو نلت البندقية كلها!

بورشيا: لقد فات موعد هذا الصك، ولهذا فإن من حق اليهودى أن يطالب برطل من اللحم يقتطعه هو من أقرب موضع إلى قلب التاجر، فكن رحيمًا، ولتأخذ ثلاثة أمثال دينك، ومرنى بتمزيق الصك.

شايلوك: سآمرك بتمزيقه، بعد الأداء حسب نصه، وإنه ليبدو لى أنك قاض جليل وأنك متبحر فى القانون، ولقد شرحت الموضوع شرحًا سديدًا، وإنى لأطالبك باسم القانون الذى أنت أحد عمده القويمة، أن تمضى فى المحاكمة وقسمًا بنفسى إنه ما من قوة فى لسان آدمى فصيح تستطيع تحويلى عن هدفي! إنى ماثل هنا لأطالب بما ينص عليه صكى.

openkandil.com

أنطونيو: وإنى أتوسل إلى المحكمة بكل ما فى من قوة أن تصدر حكمها.

بورشيا: يجب عليك إذن أن تعد صدرك لسكينه.

شايلوك: يا لك من قاض نبيل! يا لك من شاب ممتاز!

برورشيا: إن القانون يحتم تطبيق العقوبة كما وردت فى نص العقد.

شايلوك: هذا حق يا لك من قاض حصيف نزيه! لكم تبدو أكبر سنًا من حقيقة مظهرك.

بورشيا: إذن فاكشف عن صدرك.

شايلوك: نعم عن صدره، هكذا يقول الصك، أليس كذلك أيها القاضى النبيل؟ "أقرب موضع من القلب" تلك الألفاظ نفسها.

بورشيا: أنها كذلك هل هنا ميزان لوزن اللحم؟

شايلوك: لقد أحضرته معى.

بورشيا: فلتحضر جراحًا هنا يا شايلوك، وعلى نفقتك، لكى يوقف دماء جروحه حتى لا يموت من النزيف.

شايلوك: وهل ينص العقد على ذلك؟

بورشيا: لم ينص على ذلك صراحة ولكن هذا لا يهم وإنه لخير تفعله من قبيل الإحسان.

شايلوك: إننى لا أراه، وهو ليس واردًا فى العقد.

بورشيا: وأنت أيها التاجر، ألديك ما تقوله؟

أنطونيو: ليس لدى إلا القليل، إننى مسلح بإيماني، هات يدك يا بسانيو وداعًا! لا تحزن لوقوعى فى هذه المحنة من أجلك، ذلك أن المقادير تبدو أكثر عطفًا فى هذا الأمر مما عودتنا؛ فلقد ألفت على الدوام أن تبقى الرجل حيًا بعد أن يفقد ثروته، ليواجه حياة من المسغبة وهو غائر العينين مغصن الجبين، ولق حالت بينى وبين أن أعاقب بهذه التعاسة ورجائى إليك أن تذكرنى بخير عند زوجتك النبيلة، ولتحدثها بتفاصيل النهاية التى واجهها أنطونيو، ولتقل لها: كم أنا أحبك، ولنتحدث عنى حديثًا وجودًا طيبًا بعد موتى، وعندما تروى القصة فلتدعها تحكم: هل كان

obeikandl.com

لبسانيو يومًا ما صديق صدوق؟ وأرجوك ألا تحزن إلا لشيء واحد هو أنك فقدت بفقدى صديقًا، فإن فعلت فليس هو بنادم على أنه مات فى سبيل الوفاء بدينك، ذلك أن اليهودى إذا وصلت طعنة مديته إلى موضع عميق، لوفيت بالدين بكل قلبى.

بسانيو: أنطونيو: إن لى زوجة عزيزة على كالحياة نفسها. غير أن الحياة نفسها، وزوجتى والدنيا بأسرها ليست عندى أعظم قيمة من حياتك، بل إنى أوثر أن أفقدها جميعًا، وأن أضحى بها كلها هنا لهذا الشيطان فى سبيل إنقاذك.

بورشيا: لو أن زوجتك كانت هنا تصغى إلى هذا العرض لما رضيت عنه.

جراتيانو: وإن لى زوجة أحبها، ولكم وددت لو أنها كانت فى السماء واستطاعت أن تتوسل إلى قوة من القوى ترد عنك قسوة ذلك اليهودى.

نريسا: إن من حسن حظك أنك تقول هذا من وراء ظهرها، وإلا لأثارت هذه الرغبة الشقاق فيما بينكما.

شايلوك: (على انفراد) هكذا يكون الأزواج المسيحيون، إن لى ابنة وددت لو أن يهوديا من نسل براباس [١٤٣] كان زوجًا لها من دون أى مسيحى (جهرًا) نحن نضيع الوقت. أرجوك أن تعجل بحكمك.

بورشيا: من حقك الحصول على رطل من لحم هذا التاجر، وإن المحكمة تحكم لك بذلك، والقانون يؤيدك.

شايلوك: يا أعدل القضاة!

بورشيا: ثم يجب عليك أن تقطع هذا اللحم من صدره، والقانون يجيز لك ذلك، والمحكمة تحكم به.

شايلوك: يا أعظم القضاة علمًا! يا له من حكم! تقدم! استعد!

بورشيا: انتظر قليلاً، هناك شيء آخر، إن هذا الصك لا يتيح لك الحق فى قطرة من واحده من الدماء، إن الألفاظ تنص صراحة على "رطل من اللحم" خذ إذن بنص صكك، خذ نصيبك من اللحم، ولكنك إذا أرقت –

---

(١٤٣) اللص الذى أطلق بيلاطس سراحه لليهودى بدلا من المسيح.

وأنت تقتطعه – قطرة واحدة من دم مسيحى، صودر عقارك وبضائعك لدولة البندقية تطبيقًا لقوانينها.

جراتيانو: يا لك من قاض عادل! ألق سمعك إلى هذا الكلام أيها اليهودى! يا لك من قاض عالم!

شايلوك: أهذا هو القانون؟

بورشيا: سترى بنفسك ما يقوله القانون، وما دمت تلح فى طلب العدالة، فلتثق بأنك ستنال منها قسطًا أكبر مما تطمح إليه.

جراتيانو: يا لك من قاض عالم! تنبه أيها اليهودى يا لك من قاض عالم!

شايلوك: إذن فإنى أقبل ما يعرضه ليؤد ثلاثة أمثال الصك ولينصرف المسحى لحال سبيله.

بسانيو: هاك النقود.

بورشيا: تمهل! سينال اليهودى العدالة كلها، مهلا، لا داعي، للعجلة، لن ينال اليهودى شيئًا سوء الجزء الذى اشترطه.

جراتيانو: أيها اليهودى، هذا قاض نزيه! هذا قاض عالم!

بورشيا: إذن فلنستعد لقطع اللحم، ولا ترق دمًا، ولا تقطع أقل ولا أكثر، بل اقطع رطلا من اللحم بالضبط، وإذا أنت قطعت أكثر أو أقل من رطل واحد بالضبط، وإذا وجد فرق يزيد أو ينقص فى الوزن حبة، بل على جزء من عشرين من حبة، بل إذا تحرك الميزان فوق الرطل أو دونه بمقدار شعرة، فسيكون مصيرك الموت، وستصادر كل أملاكك.

جراتيانو: هذا دانيال ثان! دانيال أيها اليهودي! والآن أيها الكافر لقد أمسكت بتلابيبك.

بورشيا: فيم يتردد اليهودى؟ خذ حقك!

شايلوك: رأس مالى، ودعونى أنصرف.

بسانيو: ها هو ذا معى، هذا هو.

بورشيا: لقد رفضته علانية أمام المحكمة، ولن يحصل عليه أكثر مما تعطيه العدالة، وما يمنحه إياه الصك.

openkandil.com

جراتيانو: سأردد على الدوام: "أنك دانيا، أنك دانيال ثانية" وأشكر لك أيها اليهودى أنك علمتنى هذه العبارة.

شايلوك: أفلا أحصل حتى على رأس مالى؟

بورشيا: لن تحصل إلا على الشرط الثابت فى العقد، تأخذه على مسئوليك أيها اليهودى.

شايلوك: فليحتفظ بالمبلغ، وليذهب إلى الشيطان، ولست مستعدًا للإطالة فى هذه المسألة.

بورشيا: مهلاً أيها اليهودى إن للقانون حقًا آخر عليك، إن قوانين البندقية تنص على أنه إذ ثبت أن أجنبيًا حاول القضاء على حياة مواطن بطريق مباشر أو غير مباشر، فإن من حق الطرف الذى بذلت تلك المحاولة ضده أن يحصل على نصف ممتلكاته، أما النصف الآخر فيصبح حقا لخزانة الدولة، وتكون حياة المذنب تحت رحمة الدوق نفسه، دون سواه، فإذا أصر على استعمال هذا الحق فليس لأحد أن يعارض فيه، وهذا هو موقفك الآن، وإنه ليتضح لى بأوضح دليل أنك قد تآمرت بوسائل مباشرة وغير مباشرة أيضًا، على حياة المدعى عليه، وأنك تستحق العقاب الذى سبقت الإشارة إليه، فاركع إذن والتمس من الدوق الرحمة!

جراتيانو: ارجه أن يأذن لك بأن تشنق نفسك! ومع ذلك، فإن كانت ثروتك قد صودرت من قبل الدولة، فإنه لم يبق لديك من المال ما تبتاع به حبلا لذلك يجب أن تشنق على حساب الدولة.

الدوق: ولكى ترى كيف تختلف نفوسنا عن نفسك، فإنى أهبك الحياة قبل أن ترجونى أنت فى ذلك. أما عن ثروتك فنصفها لأنطونيو ويضاف النصف الآخر إلى أموال الدولة العامة، ولكنى أحيله غرامة نظير خضوعك وتذلك.

بورشيا: هذا فيما يتعلق بالشطر الذى هو حق الدولة لا الذى حق أنطونيو.

شايلوك: خذوا حياتى ولا تبقوا علي، ولا تعفوا عني، وإنكم وأيم الله لتأخذون بيتى وما يستند إليه هذا البيت، وإنك لتنتزعون حياتى حينما تنزعون من يدى ما أعيش به.

obeikandi.com

بورشيا: وأية رحمة ينالها منك يا أنطونيو؟

جراتيانو: حبلا بالمجان، بالله لا تمنحه أكثر من ذلك.

أنطونيو: إذا رضى سيدى الدوق، وهيئة المحكمة أن يعفى من توقيع الغرامة الخاصة لنصف أملاكه، فإنى أرضى بهذا أسر له، ومن ثم سيكون لى النصف الآخر من هذه الأملاك، لأعطيه لدى وفاته إلى السيد الذى اختطف ابنته أخيرًا. ولى شرطان آخران: أن يعتنق فى نظير هذا الفضل الدين المسيحى أمام المحكمة، والثانى أن يقدم على سبيل الهبة كل ما يكون له عند وفاته إلى ابنته وإلى زوجها لورنزو.

الدوق: سيفعل ذلك حتمًا، وإلا فسأحسب العفو الذى نطقت به هنا منذ قليل.

بورشيا: أراضٍ أنت أيها اليهودى؟ ماذا تقول؟

شايلوك: إنى جد راض.

بورشيا: أيها الكاتب، حرر عقد هبة.

شايلوك: أتوسل إليكم أن تأذنوا لى بالانصراف من هذا المكان، فإنى أشعر بوعكة، وابعثوا فى أثرى بالعقد وسأوقعه.

الدوق: انصرف، ولكن لتوقعه.

جراتيانو: أنت فى حاجة إلى عرابين وقت تعميدك. ولو أنى كنت قاضيًا لقضيت بأن يكون لك فوقهما عشرة يسوقونك إلى المشنقة لا إلى ماء التعميد (ينصرف شايلوك)

الدوق: (مخاطبًا بورشيا) سيدي، إنى أرجوك تلبية دعوتى للعشاء بمنزلى.

بورشيا: بكل خشوع أستسمحكم التلطف بقبول عذري، ذلك أنه ينبغى أن أرحل الليلة إلى بادوا، ولهذا يجدر بى أن أسافر الساعة.

الدوق: يؤسفنى أن وقتك لا يعينك على قبول الدعوة. وعليك يا أنطونيو أن تؤجر هذا السيد فأنت – فيما رأى – مدين له بالشيء الكبير. (ينصرف الدوق وحاشيته)

بسانيو: وسنظل فوق هذا مدينين لك ما عشنا دينًا يفوق المال، مدينين بحبنا وخدماتنا ما حيينا.

obeikandi.com

بورشيا: لقد ظفر بخير جزاء من آب مرتاح الضمير، وإنى بإنقاذكما قد ارتاح ضميرى ومن ثم أرى أننى قد نلت خير الجزاء؛ وما أراك قط راغبًا فى أن أنال غير هذا الجزاء، وإنى لأرجوكما أن تذكرانى جيدًا متى التقينا مرة ثانية، كما أدعو لكما بالخير، ثم أستأذنكما فى الرحيل.

بسانيو: سيدى العزيز، أجدنى مضطرًا إلى الإلحاح عليك: خذ تذكارًا منا على سبيل الهدية، لا على سبيل الأجر؛ وإنى لألتمس منك أمرين: الأول أن تقبل رجائى، والثانى أن تصفح عنى لأنى تقدمت لك به.

بورشيا: إنك تمعن فى الإلحاح علي، ومن ثم سأقبل الهدية (موجهة الخطاب لأنطونيو)، أعطنى أنت قفازيك فألبسهما على سبيل التذكار منك، (موجهة الخطاب لبسانيو) وأنت سآخذ منك هذا الخاتم دليلا على محبتك. لا تبعد يدك، لن آخذ أكثر منه. وأنت لن تبخل على به برهانًا على مودتك.

بسانيو: وا أسفاه يا سيدى العزيز! إنه خاتم تافه! ولن أسر بل نفسى بالعار بإعطائك إياه.

بورشيا: لن آخذ سواه، بل يخيل إلى أنى أحس برغبة فى الحصول عليه.

بسانيو: إن هذا الخاتم ذو أهمية تفوق قيمته المادية. وإنى لمستعد لإعطائك أثمن خاتم فى البندقية، وسأبعث الدلالين فى طلبه. أما هذا الخاتم فأرجو الصفح والمغفرة إذا احتفظت به.

بورشيا: إنى لأرى يا سيدى أنك سخى بوعودك؛ ولقد علمتنى أول الأمر أن أرجوك، والآن أراك تعلمنى كيف ينبغى أن يجاب السائل!

بسانيو: سيدى العزيز، إن هذا الخاتم قد أعطتنى إياه زوجتي، وعندما وضعته فى إصبعى استحلفتنى ألا أبيعه أو أهبه أو أفقده.

أنطونيو: هذا اعتذار يذكره الكثيرون من الرجال حينما يريدون أن يضنوا بهداياهم، وأعتقد أن زوجتك إذا عرفت كيف استحققت أنا هذا الخاتم فلن تظل تعاديك على طول المدى من أجل ظفرى به، إلا إذا كانت امرأة مجنونة! وإذن فالسلام عليكم (تنصرف بورشيا ونريسا)

openkandil.com

أنطونيو: دعه يأخذ الخاتم يا عزيزى بسانيو؛ ودع خدماته لي، ومحبتك إياى، ترجحان أوامر زوجتك.

بسانيو: اذهب يا جراتيانو، أسرع والحقه وأعطه الخاتم، وحاول أن تقنعه باللحاق بنا، فى منزل أنطونيو، هيا انطلق. وأسرع. (يخرج جراتيانو) تعال، سنتوجه معًا إلى هناك، وسنعجل فى الصباح الباكر إلى بلمونت، هلم يا أنطونيو!

obeikandl.com

الفصل الرابع

المنظر الثانى

المنظر نفسه. شارع

(تدخل بورشيا ونريسا)

بورشيا: سلى عن بيت اليهودى، وسلميه هذا العقد، ومريه أن يوقعه. سنسافر هذا المساء، وبذلك نصل إلى موطننا قبل قدوم زوجينا بيوم. وسيرحب لورنز بهذا العقد. (يدخل جراتيانو)

جراتيانو: سيدى النبيل، لقد لحقت بك أخيرًا لحسن الحظ، فقد أرسلنى إليك سيدى سانيو بهذا الخاتم، بعد أن فكر فى الأمر مليًا، وهو يرجو أن تسعده بصحبتك على مائدة العشاء. هذا ما لا أستطيعه. أما خاتمه فإنى أقبله من خالص الشكر. وأرجوك أن تنقل إليه ذلك. وثمة أمر آخر: هو أن تقود تابعى إلى دار شايلوك العجوز.

جراتيانو: سأفعل ذلك.

نريسا: لى كلمة معك يا سيدى (تتحدث مع بورشيا على انفراد) سأرى هل فى وسعى الظفر بخاتم زوجى الذى جعلته يقسم أن يحتفظ به ما عاش.

بورشيا: (لنريسا على انفراد) أنا واثق من أنك ستحصلين عليه، وسنسمع منهما أقسامًا كثيرة على أنهما قد أهديا الخاتمين لرجلين، ولكننا سنقسم على كذبهما، ونكون صادقتين فى القسم. (بصوت مرتفع) هيا انطلق، أسرع، أنت تعرف أين أنتظرك.

نريسا: (مخاطبة جراتيانو) هيا أيها السيد العزيز، هل لك فى أن ترشدنى إلى ذلك المنزل؟ (يخرجان)

obeikandi.com

الفصل الخامس

المنظر الأول

بلمونت – شارع يؤدى إلى دار بورشيا

(يدخل لورنز وجيسيكا)

لورنزو: إن القمر يرسل ضوءه الباهر، وفى ليلة كهذه، على ما أظن، حينما كان النسيم العذب يقبل الأشجار فى رفق، وهى لا يسمع لها صوت، كان ترويل يتسلق أسوار طروادة، ويرسل أنفاسه الحارة تحمل حبه، متنفسًا من أعماق روحه، صوب خيام الإغريق حيث كانت كريسيد تقضى ليلتها تلك. (١٤٤)

جيسيكا: وفى ليلة كهذه كانت ثيسبى (١٤٥) تنقل على الندى خطواتها المذعورة، وهى ترى خيال الأسد أمامها، فتلوذ بالفرار مذعورة قبل أن تراه.

لورنزو: وفى ليلة كهذه وقفت ديدو (١٤٦) على شاطئ البحر الهائج وبيدها عود من الصفصاف متوسلة إلى حبيبها أن يعود إلى قرطاجنة.

جيسيكا: وفى ليلة كهذه توجهت ميديا (١٤٧) لتجمع النباتات السحرية التى أرجعت الشباب إلى إيسون الشيخ. (١٤٨)

---

(١٤٤) غرام ترويل وكريسيد من أروع ما سجلته قصص طروادة،

(١٤٥) كانت ثيسبى من أجمل فتيات بابل، وقد أحبها بيراموس، ولكن أهلها عارضوا زواجها منه، غير أنها عمدت للحاق به، وفى أثناء هروبها، سقط وشاحها فالتقطه الأسد وخضبه بالدماء، فلما رآه بيراموس، حسبها قتلت فانتحر، ولما رأته ثيسبى على هذه الحال قتلت نفسها كذلك.

(١٤٦) ديدو: ملكة قرطاجنة ومؤسستها، فى الأساطير الإغريقية، أحبت إينياس، وحين سافر وتركها ويئست من حبه أحرقت نفسها.

(١٤٧) ميديا: هى فى الأساطير اليونانية ابنة ملك كلشوس، اشتهرت بمقدرتها فى السحر، وقد عاونت إيسون الشيخ ضد أبيها، وأعادت إليه شبابه، وأعانت جاسون فى الحصول على الجزة الذهبية (انظر هامش صفحة ١٣).

obeikandl.com

لورنزو: وفى ليلة كهذه، أقسم لورنزو الشاب أنه يحبها حبًا جمًا، حتى لقد سلب لبها الكثير من الأيمان لم يكن فى إحداها صادقًا.

لورنزو: وفى ليلة كهذه، عمدت جيسيكا الفاتنة، فى مكر ودهاء، إلى إساءة الظن بحبيبها، ولكنه غفر لها ذلك.

جيسيكا: فى وسعى أن أمضى الليلة فى هذه المطارحة الغرامية لو لم يأت أحد، ولكننى أسمع وقع أقدام رجل قادم! (يدخل استيفانو)

لورنزو: من ذلك القادم المسرع فى الظلام؟

استيفانو: صديق..

لورنزو: صديق؟ أى صديق؟! أرجو أن تخبرنى باسمك أيها الصديق؟

استيفانو: اسمى استيفانو، ولقد قدمت حاملا رسالة مؤداها أن سيدتى ستصل إلى بلمونت قبل انبلاج فجر هذا اليوم؛ فهى تجول فى أماكن متفرقة حيث توجد الصلبان المقدسة، وتركع وتصلى وتبتهل إلى الله أن يهبها حياة زوجية سعيدة.

لورنزو: ومن معها؟

استيفانو: لا أحد غير وصيفتها وراهب. قل لى بالله عليك، هل عاد سيدى؟

لورنزو: لم يأت بعد، بل لم نسمع شيئًا قط عنه. ولكن، أرجوك يا جيسيكا أن ندخل المنزل، حتى نتهيأ لإعداد ما نحيى به عودة صاحبة الدار (يدخل لونسلو)

لونسلو: صولا... صولا! ووها هو.. وها هو! صولا.. صولا! [١٤٩]

لورنزو: من المنادى؟

لونسلو: صولا! أرأيتم السيد لورنزو وزوجته؟ صولا، صولا!

لورنزو: كفى صخبًا يا رجل، إنهما هنا.

---

(١٤٨) إيسون هو والد جاسون، الذى أعيد له الشباب بقوة ميديا السحرية على أثر عودة نجله جاسون من رحلته على الآراجون.

(١٤٩) هذه أصوات تحاكى صوت نفير عمال البريد.

obeikandi.com

لونسلو: صولا! أين؟ أين؟

لورنزو: هنا.

لونسلو: أخبروه أن بريدًا جاء من سيدي، مفعمًا بأنباء طيبة. سيصل سيدى قبل الصباح. (ينصرف)

لورنزو: لندخل إذن يا حبيبتى الرقيقة، ولننتظر مقدمهما. ولكن، لم الدخول؟ يا صديقى استيفانو، أرجوك أن تعلن فى المنزل أن سيدتك ستصل بعد قليل، وأرسل نغمات آلاتك الموسيقية فى الهواء. (ينصرف استيفانو) ألا ما أحلى ضوء القمر على هذه الربوة! وسنجلس هنا، وتسرى أنغام الموسيقى إلى آذاننا، وإن السكون العذب والليل لأنسب الأشياء إلى الانسجام الموسيقى الرقيق، اجلسى يا جيسيكا، ولتسرحى ببصرك فى أديم السماء الممتد، والمرصع بما لا يحصى من الذهب البراق والحق أنه ما من جرم ضئيل ترينه إلا يبدو فى حركته كملك يغنى، ويبعث بنغماته إلى الملائكة الطفلة العيون، هذا الانسجام لا تسمعه إلا الأرواح الخالدة، ولكن، إذا احتواها هذا البناء الصلصالى المهين المنحل، حال بيننا وبين الاستماع إليها (يدخل الموسيقيون) (لورنزو متابعًا حديثه) تقدموا! هيا! ولتوقظوا ديانا [١٥٠] بلحن من ألحانكم ولتلاحق أعذب أنغامكم مسمعى سيدتكم، فتقودها الموسيقى إلى دارها (يبدأ عزف الموسيقى)

جيسيكا: لا أستطيع، أنا لا أشعر أبدًا بالسعادة، وأنا أصغى إلى الموسيقى العذبة.

لورنزو: السر فى ذلك هو أن روحك تكون متحفزة للسماع، ولك أن تلاحظى جماعة من الخيل البرية المتوثبة الشباب، التى لم تكبح شكيمتها بعد، ولم تستأنس، تصهل بأعلى أصواتها مندفعة إلى ذلك بدمائها الحارة، فإذا ما سمعت صوت بوق، أو صافحت آذانها أية نغمة موسيقية، فسترينها تقف من فورها مشرئبة، وقد أخذت تنظر بعيونها الوحشية فى انكسار واستسلام وذلة، نتيجة لسلطان الموسيقى العذب، ولهذا ادعى

---

(١٥٠) ديانا: هى – عند الرومان – إلهة القمر والغابات والحيوانات، والمراضع، وتقابل أرتميس عند اليونان.

الشاعر [١٥١] أن أورفيوس [١٥٢] كان يجذب إليه الأشجار والأحجار والفيضانات. فليس ثمة مخلوق، مهما بلغ من القسوة والفظاظة الوحشية، لا تفعل الموسيقى فعلها فيه، فتبدل طبعه، والرجل الذى لا يشعر بالموسيقى، ولا تحركه، أو تثيره الأنغام العذبة، إنما هو مخلوق مطبوع على الغدر والخيانة، مفطور على المكر والنهب، وإن حركات روحه لابد مظلمة ظلام الليل، وعواطفه داكنة مثل إير بوس [١٥٣] ومثل هذا الرجل حقيقى بألا يوثق به. هيا لنصنع إلى الموسيقى (تدخل بورشيا ونريسا)

بورشيا: لا مراء فى أن هذا الضوء الذى نراه إنما ينبعث فمن قاعتى الكبرى. انظرى كيف تبعث هذه الشمعة الضئيلة ذلك الضياء الباهر إلى ذلك المدى البعيد! وهكذا يسطع العمل الطيب ويتألق فى عالم شرير!

نريسا: لم نر ضوء الشمعة حينما كان القمر ساطعًا.

بورشيا: وهكذا فإن سنا المجد العظيم يحجب ضوء المجد الضئيل، وهكذا فإن نائب الملك يبدو ساطع الرُّواء باهره، حتى يجيء الملك وحينئذ تدول دولته، كما يندمج الجدول الصغير فى النهر العظيم ويتلاشى فيه. استمعى إلى الموسيقى.

نريسا: إنها موسيقى دارك يا سيدتى.

بورشيا: أرى أن الأمور لا تقدر إلا بملابساتها، إنه ليخيل إلى أن هذه الموسيقى أعذب ليلا منها نهارًا.

نريسا: لا غرو أن الصمت يحبوها هذه الميزة يا سيدتى.

بورشيا: إن الغراب والقبرة ليستويان فى جمال الصوت إذا لم يصغ أحد إليهما! وأحسب أن البلبل إذا قدر له أن يغنى نهارًا، فى الوقت الذى تصبح فيه

---

(١٥١) الشاعر هنا هو أوفيد، وهو شاعر لاتينى (٤٨ ق. م – ١٨ م).

(١٥٢) شخصية خرافية قيل أن الموسيقى التى أبدعها أطربت الوحوش الضارية والأشجار والصخور فى جبال الأولمب حتى لقد كانت تنتقل من أماكنها لتتبع مصدر تلك الأنغام الذهبية.

(١٥٣) هو الجحيم.

openkandil.com

كل إوزة لما عدت ألحانه أعذب من صوت أبى فصادة! وكم من الأشياء قد بلغت أوجها، وظفرت بتقديرها الصحيح لأنها جاءت فى أوانها، لقد انخفض النغم! وهذا هو القمر ينام فى أحضان أنديميون [١٥٤] ولا يريد أن يستيقظ. (تتوقف الموسيقى)

لورنزو: هذا هو صوت بورشيا، إذا لم أكن مخطئًا.

بورشيا: إنه ليعرفنى كما يعرف الأعمى طائر الوقوق بصوته المنذر بالسوء.

لورنزو: سيدتى العزيزة، مرحبًا بك فى دارك.

بورشيا: لقد كنا نصلى مبتهلتين إلى الله أن يصون زوجينا، ورجاؤنا أن يحقق الله سؤلنا. أو عادا هما؟

لورنزو: لم يعودا بعد يا سيدتي، ولكن رسولا عاد من قبل يعلن قرب مقدمهما.

بورشيا: هيا ادخلى إلى الدار يا نريسا، ولتصدرى أمرك للخدم ألا يذكروا أننا غبنا عن الدار، وأنت يا لرونزو وأنت يا جيسيكا إياكما أن تذكرا شيئًا من ذلك (يسمع صوت نفير)

لورنزو: إن زوجك على مقربة منا، فإنى اسمع صوت نفيره. نحن لسنا ثرثارين يا سيدتي، فلا تخشى منى شرًا.

بورشيا: إنى أرى هذه الليلة باهرة الضياء، كما لو كانت نهارًا عليلا! إنها أشبه بنهار توارث شمسه خلف أستار السحب. (يدخل بسانيو وأنطونيو وجراتيانو وأتباعهم)

بسانيو: لو أنك تجليت بطلعتك البهية فى صميم الليل لأضأته والشمس غائبة فكنا فى النهار مع نصف الكرة الثانى!

بورشيا: دعنى أهب النور، ولكن بدون طيش ونزق، فإن الزوجة الطائشة تورث زوجها الحزن، ولن أسبب ذلك لبسانيو، والله على ما يشاء قدير، مرحبًا بك فى دارك يا مولاى.

---

(١٥٤) أنديميون شاب من شبان الأساطير اشتهر بجماله الرائع، وقد روت الأساطير أنه وهو نائم، كان يدفئ – بجماله الطيب – قلب القمر البارد، حتى كان القمر يهبط إليه فيقبله وهو نائم، ثم يضطجع إلى جواره!

obeikandl.com

بسانيو: أشكرك يا سيدتي، هلمى ورحبى بصديقي، هذا هو الرجل، إنه أنطونيو أنا مدين له بكل شيء.

بورشيا: إنك جدير بأن تكون له مدينًا من كل ناحية، فقد سمعت أنه ارتبط بمواثيق غليظة من أجلك.

أنطونيو: إنى لست مدينًا بغير ما برئت منه.

بورشيا: سيدى، مرحبًا بك فى دارنا. يجب أن أظهر لك حفاوتى فى شىء غير الكلام، هأنذا أختصر هذه الحفاوة اللفظية.

جراتيانو: (مخاطبًا نريسا) أقسم بهذا القمر أنك تظلمينني. فوالله لقد أعطيته كاتب القاضي. أما وقد تأثرت يا حبيبتى إلى هذا الحد فيا ليت الكاتب كان مسخًا.

بورشيا: أمشاجرة بهذه السرعة، وما السبب؟

جراتيانو: نتشاجر حول طوق من الذهب، خاتم تافه كانت قد أعطتنى إياه وقد حفرت عليه كلمات كلتك التى ينقشها عادة صناع المدى، وكانت العبارة المنقوشة هي: "أحببنى ولا تتخلى عنى"

نريسا: ولم تتحدث عن النقش أو عن القيمة؟ لقد أقسمت لى حينما أعطيتك إياه أنك لن تخلعه حتى ساعة مماتك، وأنه سيدفن معك فى رمسك، وكان جديرًا بك من أجل أيمانك المغلظة – لا من أجلى أنا – أن تحفظ عهدك وتصون يمينك. وتقول إنك أعطيته لكاتب قاض! كلا إن الله هو القاضى الذى أحتكم إليه، وإن الكاتب الذى أخذه منك لن ينبت فى وجهه شعر!

جراتيانو: لا شك أن الشعر سينبت فى وجهه إذا عاش وأصبح رجلا!

نريسا: نعم، بل قل إذا عاشت المرأة وانقلب رجلا!

جراتيانو: لقد أعطيته بيدى هذه لشاب، لفتى بائس صغير، ليس أطول منك قامة، إنه كاتب القاضي، وهو فتى ثرثار، سألنى إياه نظير أتعابه، ولم تطاوعنى نفسى على أن أرفض طلبه.

بورشيا: يجب أن أقول لك بصراحة إنك ملوم على تخليك بسهولة عن أول هدية قدمتها لك زوجك، فإن خاتمًا تتقلده فى إصبعك، وقد أقسمت الأيمان

obeikandl.com

على صيانته، كان جديرًا بأن يظل لاصقًا بلحمك، لقد أعطيت لحبيبى خاتمًا، وجعلته يقسم أن ذلك الخاتم لن يبرح إصبعه أبدًا، وها هو ذا واقف، وأستطيع أن أقسم نيابة عنه، أنه لن يتخلى عنه، أو ينزعه من إصبعه، حتى ولو كان ذلك مقابل كل كنوز الدنيا، والآن هذا أنت يا جراتيانو تقسو على زوجتك فتكون سببًا فى أحزانها، ولو حدث هذا معى لجننت جنونًا!

بسانيو: (على انفراد) ماذا؟ لوددت لو اقتطعت يدى اليسرى ثم أقسمت لها أن فقدت الخاتم وأنا أدافع عنه.

جراتيانو: لقد أهدى سيدى بسانيو خاتمه للقاضى، الذى ألح فى طلبه، وكان به جديرًا، وحينذاك ألحف كاتبه فى رجائي، أن يأخذ خاتمى، وكان قد بذل بعض الجهد فى الكتابة، والحق أن السيد وتابعه قد زهدا فى أى جزاء سوى هذين الخاتمين.

بورشيا: وأى خاتم أعطيت يا مولاى؟ آمل ألا يكون ذلك الخاتم الذى تلقيته منى.

بسانيو: لو أننى استطعت أن أضيف أكذوبة إلى جريرتي، إذن لقلت إننى لم أفعل، ولكنك ترين أن إصبعى خلو من الخاتم، لقد أعطيته!

بورشيا: وكذلك بدا قبلك الخائن خلوًا من الوفاء، أقسم بالله أنى لن آوى إلى فراشك حتى أرى الخاتم.

نريسا: ولا أنها فاعلة ذلك معك إلا إذا رأيت خاتمى.

بسانيو: أى عزيزتى بورشيا! لو أنك عرفت من أعطيت الخاتم، ولو أنك عرفت من أجل من أعطيته، وأدركت لم أعطيته، وكيف تركته على غير رغبة مني، إذ لم يقبل منى شيئًا سوى هذا الخاتم – لو أنك عرفت ذلك كله، لخففت من غلواء غضبك.

بورشيا: ولو أنك عرفت قيمة ذلك الخاتم، أو نصف قيمة من أعطتك الخاتم، أو عرفت الشرف الذى تناله بحيازة الخاتم – لو عرفت ذلك كله، لما فرطت فيه، ولو أنك عمدت إلى الدفاع عن الخاتم بعبارات قوية لما كان فى وسع أى إنسان، مهما بدا جامد الإحساس، أن يجد من الأدب

obeikandi.com

والإصرار على حيازة هذا التذكار، إن نريسا قد علمتنى ما يجب أن أعتقده، وإن الموت لأقرب إلى من الاعتقاد بأنك لم تعطه امرأة.

بسانيو: كلا يا سيدتى أقسم بشرفى، بل أقسم بحياتى، أن امرأة ما لم تأخذه وإنما هو عالم قانونى رفض ثلاثة آلاف دوقية مني، ثم التمس الحصول على الخاتم فأبيت عليه ذلك، حتى جعلته ينصرف غاضبًا، وهو الذى أنقذ حياة صديقى العزيز، ماذا عساى أن أقول يا سيدتى الحبيبة؟ لقد وجدتنى مضطرًا آخر الأمر إلى إرسال الخاتم فى أثره، لقد تناوبنى الإحساس بالخزى وبواجب المجاملة، وأبى على شرفى أن أدنسه بهذا الجحود، فاغفرى لى ذنبي، يا سيدتى الكريمة، وقسمًا بهذه المصابيح زينة السماء بالليل، لو أنك كنت حاضرة لكنت أنت التى توسلت إلى أن أعطيك الخاتم لتهبيه لذلك العالم القدير!

بورشيا: أرجو ألا تدع هذا العالم يمر بدارنا أبدًا، لأنه وقد ظفر بالجوهرة التى أحببتها، والتى أقسمت على حفظها وصونها، فإنى أخشى أن أعطى نفسى من الحرية ما أعطيته لنفسك، فلا أنكر على ذلك العالم أى شيء أملكه لا نفسى ولا عرضي، وإياك أن تمضى ليلة واحدة بعيدًا عن المنزل، ولتراقبنى مراقبة آرجوس [١٥٥] فإذا لم تفعل وإذا أنت تركتنى وحدي، فإنى أقسم بشرفى الذى لا يزال ملكى، أننى سأتخذ ذلك العالم ضجيع فراشى.

نريسا: (مخاطبة جراتيانو) وسأضاجع أنا كاتبه، فاحذر إذن، فلا تدعنى من بعد خاضعة لحمايتى وحدها.

جراتيانو: حسن، افعلي، وحذار أن تمكنين من القبض عليه، لأنى إن فعلت فسأحطم قلمه!

أنطونيو: إنى أن الشقى سبب هذه المشاجرات.

بورشيا: يا سيدي، لا تحزن ومرحبًا بك على الرغم من ذلك.

---

(١٥٥) يطلق على آرجوس بأن أويتس PANOPTES ومعناه الذى يرى كل شيء وذلك لأن له مائة عين.

obeikandl.com

بسانيو: بورشيا، اغفرى لى هذه الزلة التى قسرت عليها، وإنى أقسم لك على مسمع من كل أصدقائى هؤلاء، بل أقسم بعينيك الساحرتين اللتين أرى فيهما نفسى..

بورشيا: أرجو أن تلاحظوا ما يقول! إنه يرى شخصه مرتين، فى عينى الاثنين، ففى كل عين شخص له، فأقسم إذن بشخصيتك المزدوجة، أصدق قسمك.

بسانيو: بل أصغى إلى، واعفى عن هذه الهفوة، وأقسم لك بحياتى أننى لن أحنث بعد الآن بقسم أقسمته لك.

أنطونيو: (مخاطبًا بورشيا) لقد رهنت جسدى فى يوم من الأيام ضمانًا لثروته، ولولا ذلك الذى أخذ خاتم زوجك، لكنت فقدت الحياة، وأستطيع أن أتعهد مرة أخرى، وأجعل روحى ضامنة لتعهدى، بأن زوجك لن يحنث عامدًا بيمينه.

بورشيا: إذن فستكون ضامنه! أعطه هذا، ومره أن يحفظه خيرًا مما فعل بالآخر!

أنطونيو: (يأخذ الخاتم ويعطى بسانيو إياه) ها هو ذا يا سيد بسانيو؛ لتقسم أنك ستحافظ على هذا الخاتم.

بسانيو: أقسم أنه الخاتم نفسه الذى أعطيت العالم إياه.

بورشيا: لقد أخذته أنا منه. إنى أراكم جميعًا تعجبون، هاكم رسالة اقرءوها على مهل. إنه من بادوا، من عند بيلاريو، وسترون من الرسالة أن بورشيا كانت هى العالم، وأن نريسا هذه كانت كاتبه! وسيشهد لورنزو أننى أنصفت عقب رحيلكم، ولم أرجع إلا فى هذه اللحظة. وإنى لأدخر لك أنباء أفضل مما تتوقع، فض هذه الرسالة على عجل، فستجد فيه أن ثلاثًا من سفنك الكبيرة قد عادت إلى المرفأ فجأة مثقلة بالبضائع الثمينة ولن أخبرك بالمصادفة الغريبة التى جعلت هذه الرسالة تصل إلى قبل:
(تعطيه الرسالة)

أنطونيو: إنى عاجز عن البيان!

obeikandl.com

بسانيو: أفكنت حقًا ذلك العالم ولم أستطع معرفتك؟ فيأيها العالم الرقيق، ستكون أيها العالم ضجيع فراشى، فإذا ما غبت عنك فلتضاجع إذن زوجتى.

أنطونيو: سيدتى الحسناء، لقد وهبتنى الحياة والثروة، فأنا أقرأ عن يقين فى هذه الرسالة أن سفنى قد عادت بسلام إلى الميناء.

بورشيا: وأنت يا لرنزو، إن كاتبى يحمل لك بعض الأنباء الطيبة!

نريسا: نعم، وسأعطيها إياه دون أجر! إنى أحمل لك ولجيسيكا من اليهودى الثرى عقدًا خاصًا بهبة، تحل بعد وفاته؛ ويكون لكما بمقتضاها كل ما يملكه ساعة وفاته.

لورنزو: أيتها السيدتان الجميلتان إنكما تسقطان المن على قوم جياع!

بورشيا: لقد أوشك الصباح أن يظهر ومع ذلك فإنى واثقة من أنكم لم تعرفوا بعد كل ما يجب أن تعرفوه عن هذه الأمور. فدعونا ندخل واطلبوا إلينا أن نقسم لكم بأن نصدقكم القول حين تسألون.

جراتيانو: لنفعل ذلك. إن أو سؤال أتوجه به لنريسا، وأطلب إليها أن تقسم لتصدقنى الجواب عنه هو: هل ستذهب معى إلى الفراش الآن، إذ لم يبق من الليل إلا ساعتان، أو هل تظل ساهرة طوال الليل؟ حسنًا، لن أخشى شيئًا ما حييت، ولن أحرص على شىء، مقدار خشيتى وحرصى على خاتم نريسا! (يخرجون)

obeikandl.com

فهرس

الفصل الأول ٣٩

الفصل الثانى ٥٧

الفصل الثالث ٨٢

الفصل الرابع ١٠٦

الفصل الخامس ١٢١

obeikandl.com

رقم الإيداع
٩٧٢٧/ ٢٠٠٢

الترقيم الدولى ISBN 977 -02 -6323 -0

٣١/ ٢٠٠٢/ ١

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

obeikandl.com